

الأسرة في زمن العولمة قراءة في الأبعاد والتحديات

تأليف

سامية قطوش

دار الخلدونية للنشر والتوزيع

الأسرة في زمن العولمة

قراءة في الأبعاد والتحديات

الدكتورة: سامية قطوش



الطبعة
1438هـ-2017م



5، شارع محمد مسعودي- القبة القديمة - الجزائر.
هـ :021.68.86.49 هـ/ فا : 021.68.86.48
البريد الإلكتروني : khaldou99_ed@yahoo.fr

منشورات دار الخلدونية، 2017.
ردمك: 978-9961-52-787-0
الإيداع القانوني : ماي، 2017.

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين...

المقدمة:

إن الحديث عن الأسرة في العقدين الأخيرين أصبح مختلفا تماما، وذلك راجع إلى أن أوضاع العالم قد شهدت تغيرات لم تعرف لها البشرية مثيلا، فأصبح مشروع "الإنسان الكوني" يطرح نفسه بقوة في ظل المتغيرات الحديثة والكثيفة والسريعة التي تتفنن "العولمة" في توظيفها، فأصبح الأمر يطال الطرح المتبنى في الواقع من خلال المظاهر المعولمة، التي أصبحت تميز ملامح النسيج المجتمعي بكل ما تفرضه من مفاهيم جديدة تؤكد، أو بالأحرى تحاول، أن تؤكد أن "الغرب" هو المرجعية الأولى للريادة، وأن قيمه الثقافية هي الملاذ الوحيد للتطور. وفي هذا الصدد، يتضح أن موضوع "الهيمنة الغربية" يرسم أهدافه على المدى البعيد في إطار سعيه إلى خلق نموذج "مستهلك عالمي" حيث ينفرد هو بموضوع "الانتاجية" حتى لا ينافسه أحد في ذلك. وكما في المجتمعات كلها، فإن الخلل أصبح ملحوظا في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية، ومختلف المؤسسات المجتمعية، فآثار "العولمة" أصبحت تطال الأسرة، المدرسة، الجامعة والمؤسسات الاقتصادية بفعل التطور المذهل لوسائل الإعلام والاتصال التي أصبحت تفتح الأبواب بلا استئذان، مع كل ما تحمله من تأثيرات مختلفة على العقل والوجدان، ولا نختلف اليوم حول الأزمة التي أصبح يعيشها المجتمع في ضوء الواقع المعيشي ووعي الأفراد بتأخر هذا الواقع، وما يترتب على ذلك من مخلفات اجتماعية تكاد تصل أحيانا إلى الانسلاخ الاجتماعي عن مقومات الهوية الثقافية الوطنية.

ومن الطبيعي أن تتوجه الأنظار في مثل هذه الأزمات إلى المؤسسات التنشئية في المجتمع، على رأسها الأسرة، لكن لابد أن يكون هذا التوجه بعين النقد والتقويم من خلال إجراء قراءات لهذه الأفكار في ضوء التغير الاجتماعي الحاصل بغية الوصول إلى إعادة بناء نماذج تربوية جديدة تتكيف

مع هذه المعطيات، بحيث تحسن توظيف المتغيرات الجديدة لتحقيق التوازن مع عجلة التقدم في العالم.

وتأسيسا على ذلك، يتضح الدور المنتظر من الأسرة كأول وأهم المؤسسات التنشئية في المجتمع، وتتضح بالموازاة معه ضرورة تفعيل جهود الأهل في اتجاه مناهضة التقاليد البالية في التنشئة الاجتماعية إلى أساليب وممارسات تربوية أكثر تحضرا وتكون في مستوى الطرح الكوكبي الجديد بعيدا عن شعارات الانعزال والسلبية في مسيرة الصمت الاجتماعي الرهيب. ولابد أن نتذكر هنا أنه ما لم يجد الأبناء من الأطفال المراهقين والشباب من يأخذ بأيديهم ويعرفهم ويشبعهم بالقيم والمبادئ التي تعلمهم ركب الدروب وتشرح لهم جغرافية الطريق الصحيح، فإنه لا لوم ولا أسى على الأمة ينفع بعد ذاك. وإنه لعلى عاتق الآباء في الأسر أولا يقع هذا العبء، ليكتمل المشروع بعدها بالتفاعل الاجتماعي مع الثقافي والسياسي والاقتصادي في اتجاه الأهداف المشتركة لبناء مشروع الإنسان الحضاري العربي.

ونحن مثل الآخرين ممن يعيش موجة التغير الاجتماعي هذه في مختلف نواحي الحياة داخل المجتمع، لا نجد بدا إلا أن نتساءل عن الدور المنتظر من الأسرة اليوم في ظل هذه التغيرات؟ ما هي الخطوات التي يتبناها الآباء في مواجهة تحديات ومتطلبات العولمة؟ وكيف يمكن لهم تهذيب وتوظيف أطروحة "الإنسان الكوني" لخدمة المشروع الحضاري العربي؟ كيف تسهم الأسرة في انتاج "رأس مال ثقافي" يصون الهوية الثقافية في ظل الاختراق الثقافي الذي نشهده؟ وأخيرا، هل يمكن أن يكون للرقابة والضبط الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة على مواضيع التنشئة الاجتماعية صدى في تعزيز النموذج التربوي المنشود؟ وذلك هو المفهوم الضمني للأسرة في علاقتها مع المجتمع والتغير الذي نأخذ به ونناقش قضاياه في هذا الكتاب.

الفصل الأول

الأسرة كأهم مؤسسة للتفاعل الاجتماعي

مدخل:

تعتبر الأسرة أهم مؤسسات التفاعل الاجتماعي، من حيث الثراء الذي تتمتع به في مواقف ومناسبات الاتصال الاجتماعي، وذلك راجع إلى خصوصية العلاقات التي تتمتع بها، التي تنتهل وجودها من منظومة القيم التي تكرس لها الأسرة عبر عملية التنشئة الاجتماعية عبر الأجيال. كما أن الأسرة هي معلمة القيم وحارسها، من خلال مختلف آليات الضبط الاجتماعي التي توظفها للمحافظة على هويتها وعناصرها الثقافية. فهي تقوم بعملية التشكيل الاجتماعي للفرد، وذلك من خلال تدريبه على القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المرغوبة. ولذلك نقول بأنّ الأسرة بالنسبة للفرد تمثل جماعة إنسانية يتفاعل معها، حيث يرتبط موضوع " الاتصال الاجتماعي" ارتباطا وثيقا بها وبالعلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي داخلها، ذلك أنّ الاتصال الاجتماعي هو في الأخير تعبير عن العلاقات الاجتماعية المترابطة بن الأفراد داخل الأسرة الواحدة. وعليه، نستعرض في هذ الفصل أهم الخصائص التي تتعلق بهذه المؤسسة من حيث أهميتها في حياة الفرد ووظائفها وأبعادها باعتبارها بيئة الاتصال الأولى والأهم في حياة الفرد.

المبحث الأول: الدراسة الاجتماعية للأسرة:

يحاول الباحثون في ميدان الأسرة، مثلهم في ذلك مثل أغلب المنظّرين في مختلف مجالات العلم، أن ينظّموا معارفهم في إطار نظري ما، وكذلك الحال بالنّسبة للباحثين في علم الاجتماع، حيث ظهرت الحاجة إلى ضرورة صياغة فرضيات تبنى على أساس مواضيع الدراسة، وبما أنّ الموضوع هنا يتعلق

بمؤسّسة الأسرة، فإنّ هناك الكثير من النظريات التي استخدمت كإطار لفهم موضوعات الأسرة.

أ- النظرية البنائية الوظيفية:

تعتبر النظرية البنائية الوظيفية أحد الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع المعاصر، وعندما تستخدم كإطار لفهم موضوعات الأسرة، فإنّها تواجه متطلبات عديدة، نظرا لتعدّد الاهتمامات والموضوعات المتاحة داخل نطاق الأسرة مثل العلاقات بين الزوج والزوجة والأبناء، وكذلك التأثيرات المنبعثة من الأنساق الأخرى في المجتمع الكبير كالتعليم والاقتصاد والسياسة والدين والمهن، على الحياة الأسرية، وتأثير هذه الحياة على تلك الأنساق... وتشكل المتطلبات الوظيفية والاحتياجات مشاكل محدّدة يتعين على الأنساق الاجتماعية بما فيها الأسرة حلّها، وأداء أنشطة معيّنة من أجل المحافظة على بقاء المجتمع. ومن أهم هذه المتطلبات المعروفة على نطاق واسع في علم الاجتماع، هي تلك التي قدّمها " بارسونز": التكيف، تحقيق الهدف، التكامل والمحافظة على بقاء النمط وامتصاص التوتر.

ويشير التكيف إلى ضرورة تكيف الأسرة أو تلاؤمها مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها، فالتبادل بين الأسرة والاقتصاد يكون عن طريق التحاق فرد أو أكثر من أفراد الأسرة بالعمل في مقابل الحصول على أجر، ومعنى هذا أنّ الأسرة تواجه مشكلة التكيف بمقابلة ظروف الاقتصاد عن طريق العمل واكتساب المهارات والتدريب المتخصص... إلخ.

أمّا " تحقيق الهدف "، فيشير إلى الفهم الأساسي والموافقة العامة على أهداف الأسرة ككل، فجميع الأنساق الاجتماعية بما فيها الأسرة في حاجة إلى سبب للبقاء أو للوجود.

ويهتم " التكامل " على العكس من التكيف وتحقيق الهدف بموضوعات داخل النسق، فهو يشير بصفة مبدئية إلى العلاقات بين الوحدات أو الأجزاء داخل النسق. ومن هذه الزاوية ينظر إلى المجتمع المحلي باعتباره نسقا فرعيا من المجتمع الكبير، كما أنّ التأثير المتبادل بين الأسرة النواة والمجتمع المحلي يبدو في مشاركة الأسرة في الأنشطة الصناعية أو الاجتماعية أو الدينية.

أمّا " المحافظة على بقاء النمط" على الموقف الداخلي في النسق الاجتماعي (الأسرة)، فهو يهتم بالأفراد

" الفاعلين " وتوقعاتهم وإيديولوجياتهم وقيمهم، فقد يعاني الفرد من صراع الدور أو اللاّمعيارية.

وتكون الأسرة في هذه الحالة هي المسؤول الأوّل عن مواجهة هذه المتطلبات، حيث تمتص التوتر وتعطي الوقت وتمنح الاهتمام من داخل عملية التنشئة الاجتماعية لأعضائها، بحيث تطبعهم تبعا للأيديولوجيات والقيم الخاصة بالنّسق، وعلى ذلك، تصبح الأسرة أصغر وحدة اجتماعية مسؤولة عن المحافظة على نسق القيم" [1].

ب- نظرية التفاعل الرمزي:

تدعو نظرية التفاعل الرمزي إلى استقصاء الأفعال المحسوسة للأشخاص مع التركيز على أهمّية المعاني وتعريفات المواقف والرموز والتفصيلات... إلخ، ذلك لأنّ التفاعل بين بني الإنسان وفقا لهذه النظرية يتم عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها والتحقق من معاني أفعال الآخرين... ويرى " هيل " وهانس " أنّ المفهوم التفاعلي للأسرة يتبنى الموقف التالي:

1 سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 143 وص ص 148-149

" إنّ إدراك الفرد لمعايير أو توقعات الدور تجعله ملتزما في سلوكه بأعضاء الجماعة سواء على المستوى الفردي أم الجماعي، ويحدد الفرد هذه التوقعات في أيّ موقف تبعا لمصادرها (الجماعية المرجعي) بناء على تصوره الذاتي. وعندما يتمكن من ذلك يقوم بدوره. وتتم دراسة الأسرة الآن من خلال التفاعلات العلنية والصريحة (تفاعل القيم بالأدوار بين أعضاء الأسرة) القائمة في هذا البناء.

"ومن ثمّ خلعت التنشئة الاجتماعية على التفاعل أهمية خاصة في سياق الفكر السوسيولوجي، حيث اهتمّ علماء الاجتماع بمناقشة التفاعل الاجتماعي في علاقته الاجتماعية من ناحية، وفي علاقته بالبناء الاجتماعي من ناحية أخرى. إضافة إلى اتّجاه بعض علماء الاجتماع مثل " ألفرنج جوفمان " للتأكيد على أهمّية تكامل الإطار النّظري للتفاعلية الرمزية ونظرية الدور في فهم التفاعل الاجتماعي والعمليات الاجتماعية المرتبطة به، واستجلاء فاعليتها في تشكيل شخصية الفرد وجعله كائنا اجتماعيا لا آلية اجتماعية"[1].

ويفيدنا التعرض لهذه النظرية كثيرا في دراستنا للعملية التربوية بوجه عام، لأنّ " التفاعلية الرمزية تؤكّد على النتائج الاجتماعية والشخصية للمشاركة في جماعات ذات لغة واحدة... فالتفاعلية الرمزية تعد أحد نموذجين رئيسيين حاولا شرح طبيعة ونتائج الاتصال البشري بشكل شامل، أمّا النموذج الآخر فقد جاء من علم الدلالة.

ويبدأ " جورج ميد " تحليله الاتصال البشري بتحديد مفهوم " الإيماءة "، التي تشير إلى فعل أو تصرف ما.

---

1 فادية عمر الجولاني، دراسات حول الشخصية العربية، مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، مصر، 1997، ص 11

ويمكن تلخيص هذا التحليل في أنّه حينما يتعلم كائن حي له قدرة على الاستجابة مثل " الإنسان " أنّ المرحلة الأولى لتصرف أو فعل يقوم به شخص آخر هي إشارة مبدئية، لكنها تعبر عن الفعل في شكله التام كما سيحدث فيما بعد. وحين تبدأ هذه الإشارة من إنسان، فإنّ الإنسان الآخر تبدأ عنده الاستجابة لهذه الإشارة، كما لو كانت كل فعل أو تصرف الشخص الآخر".[1]

وقد كانت معظم الدراسات في الماضي تنظر إلى الأسرة كوحدة مغلقة، بمعنى أنّ تأثيرها بهذه النّظم يكون طفيفا بنفس الدرجة. ولكن الإطار المرجعي أو نظرية التفاعل الرمزي في ميدان الأسرة تحدد لأوّل مرة من خلال كتابات " أرنست برجس "، الموقف الذي ينظر إلى الأسرة كوحدة من الشخصيات المتفاعلة،

وهو يعني بذلك شيئا حيا متغيّرا ناميا... وقد أصبح هذا الإطار مرجعا رئيسيا لكثير من الأبحاث الحالية التي تهتم بالأشخاص داخل محيط الأسرة، وهو الأمر الذي أدّى إلى توجيه عناية كبيرة إلى علاقات الزوج بالزوجة والآباء بالأبناء والأدوار والقواعد التي تحكمها. وتمثل التنشئة الاجتماعية من جانب آخر محورا هامّا في مدخل التفاعل الرمزي لما لها من أهمية مركزية في التنظيم الأسري.

وأخيرا، فإنّ نظرية "التفاعل الرمزي" لا تقتصر على الأدوار، وإنّما تهتم ببعض المشاكل مثل المركز، وعلاقات المركز الداخلية، التي تصبح أساس

1 حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص ص98-99

أنماط السلطة وعمليات الاتصال والصراع وحل المشاكل، واتخاذ القرارات والمظاهر المختلفة الأخرى لتفاعل الأسرة"[1].

وتجدر الإشارة في الختام إلى أنّنا نسجل انحيازا واضحا للمفكرين إلى النظرية التفاعلية الرمزية في تفسيرهم للأسرة، فهم يرون بأنّ هذه النظرية هي الأقرب أو بالأحرى الأنسب للدراسات الأسرية، لأنّها أعمّ وأعمق في تحليلها للعلاقات الاجتماعية الداخلية بين الأفراد في الأسرة الواحدة، ما يعتبر في نظرهم أساس التحليل في دراسة الأسرة.

المبحث الثاني: وظائف الأسرة:

على الرغم ممّا يذهب إليه البعض من أنّ وظيفة المنزل أخذت تقلّ من حيث الأهمية بالنسبة إلى المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمدرسة التي تؤثر في حياة الطفل، إلاّ أنّه ما من شك في أنّ المنزل سيظل الوحدة الثقافية الأساسية التي يتطلع فيها الطفل على الآراء والقيم والمعتقدات السائدة في الأسرة والمجتمع "[2].

ومن المعروف أنّ علماء الاجتماع يكادون يجمعون على أنّ الأسرة تقوم بعدد من الوظائف، يمكن تعدادها كما يلي:

1- الوظيفة البيولوجية:

وتشمل هذه الوظيفة قضية تنظيم السلوك الجنسي والإنجابي في إطار أكثر شرعية واعتراف في المجتمع.

1 سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، مرجع سابق، ص 150و ص155 وص 157

2 محمد مصطفى زيدان: النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط 3، 1990، ص 173

" ويلاحـظ هنـا أنّ التـزاوج ظـاهرة فيزيولوجيـة تخضـع لمجموعـة مـن الضـوابط الثقافية... ومعنى هذا أنّ المسموحات الجنسية تختلف اختلافا كبيرا جدا مـن ثقافـة إلى أخرى، بل قد يختلـف المجتمـع الواحـد في أقسـامه المختلفـة إزاء النظـر إلى هـذه الخبرات الجنسية التي تمارس خارج نظام الزواج "[1].

وبالتالي، فإنّه من بين وظائف الأسرة الهامـة هـو الـزواج والتناسـل في إطـار مـنظم تحكمه قوانين تتوافق مع الانتماء الاجتماعي الثقـافي والـديني للمجتمـع الـذي توجـد فيه.

2- الوظيفة النفسية:

يحتـاج الفـرد في حياتـه اليوميـة إلى إشـباع الكثـير مـن الحاجـات النفسـية والسيكولوجية حتى يتمتع بصحة نفسـية سـليمة، ولعـل مـن أهـمّ هـذه الحاجـات النفسية نذكر: حاجة الفرد إلى الأمـن والحـب والاعـتراف التـي تعـزز فيـه أيضـا كلهـا الحاجة إلى الانتماء، وتكون الأسرة بهذا المؤسسة الوحيدة التـي بإمكانهـا إشـباع هـذه الحاجة القوية (الانـتماء) عنـد الفـرد، ولـذلك، فـإنّ " الأسرة تعتـبر الجماعـة الأوليـة الهامة التي توفر للطفل أكبر قدر من الحنان والعطف. ولذلك، يتوقف قدر كبـير مـن التكامل الانفعالي والعاطفي عند أعضاء الأسرة عـلى مبلـغ مـا يتـوفر لهـم مـن إشـباع لرغباتهم المتعدّدة "[2].

وقد حدد العالم الـنفسي " ماسـلو " المشـهور في نظريتـه عـن الـدوافع سـنة 1972 تنظيما هرميا لدوافع الإنسـان، وهـي الحاجـة إلى تحقيـق الـذات، الحاجـة إلى تقـدير الذات، الحاجة إلى الانتماء والحب والحاجات الفيزيولوجية"[3].

---

1 محمد عاطف غيث: علم الاجتماع نظريات وتطبيقات، دار المعرفـة الجامعيـة، مصر، 1984، ص ص 198-199

2 محمد عاطف غيث، نفس المرجع ص 200

3 محمـد سـلامة، محمـد غبـاري: الخدمـة الاجتماعيـة ورعايـة الأسرة والطفولـة والشـباب، شركـة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، 1983، ص 30

ولعل للأساليب التربوية التي يستعملها الأهل في الأسرة في التعامل مع أبنائهم كثير من الأثر على هذه الصحة النفسية للفرد، وذلك من حيث مدى ملاءمة هذه الأساليب المستعملة في العملية التربوية ككل.

ومن الجدير بالذكر هنا، الإشارة إلى أنّ هذه الوظيفة النفسية العاطفية التي تقوم بها الأسرة هي التي تجعل الأسرة تحافظ على خصوصيتها، من حيث عملية التأثير في الفرد على الرغم من أنّ بعض العلماء والمفكرين يرون أنّ الأسرة بدأت تتلاشى في وظائفها نظرا لبروز كثير من مجالات ووسائل التأثير التي تجلب الأفراد إليها بصورة أكثر فأكثر من يوم إلى آخر، إلاّ أنّه مهما بلغ تأثير هذه المؤسسات في الفرد، فالأسرة تظل المؤسسة الأقرب والأفضل في خلق وتحريك مشاعر الحب والعطف والحنان في الأبناء من جهة، كما أنّها المكان الوحيد للتربية، خاصة في المراحل الأولى، حيث يقع على عاتقها الجزء الأكبر من التربية الخلقية والدينية.

3- الوظيفة الاجتماعية:

من الوظائف المهمة للأسرة، إنجاب الأبناء والإشراف على رعايتهم وتربيتهم، ولذلك تكون الأسرة المسؤول الأوّل عن عمليات التنشئة الاجتماعية، التي يتعلم الفرد من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها العامة والخاصة، ولذلك "يعتبر المنزل من أهمّ عوامل التربية، وما زالت الأسرة هي التي تعمل على تلبية الحاجات النفسية وهي المكان الذي يتلقى فيه الطفل اللغة وتعاليم الدين والأخلاق، ومن خلالها يتشرب الطفل القيم والمثل العليا."[1]، ومن هنا، فإنّ من الوظائف الأساسية للأسرة، بغض النّظر عن الإنجاب والتناسل، إكساب الفرد الخصائص الاجتماعية والثقافية وترقية شخصيته البيولوجية، بظهوره كشخصية اجتماعية، وذلك بفعل كل ما يتشربه الفرد فيها من سلوكات وأخلاق وعادات ومعتقدات دائما في إطار

1 محمد سلامة، محمد غباري، مرجع سابق، ص 26

العلاقات الأسرية وأنماط التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة التي تؤثر في شخصية الابن بشكل أو بآخر. أضف إلى ذلك مختلف المبادئ الدينية والخلقية التي يتلقاها الطفل منذ سنه المبكرة بفضل والديه المشرفين على العملية التربوية في مؤسسة الأسرة. " فالاتّجاه الديني نظام نفسي ينشأ ويتكون بتفاعل نزعات الطفل الفكرية الكامنة في أعماق البيئة المحيطة وهي الأسرة"[1]. وبهذا، تكون المقومات التي يعمل الوالدان على غرسها في الفرد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة في الأسرة هي نموذج الشخصية التي تتشكل لدى الأبناء بكل ما تحمله من خصائص نفسية واجتماعية وأخلاقية ودينية تنصب في مبادئ تربوية معينة وفقا للتصور أو المفهوم الذي تحمله الأسرة عن موضوع التربية، ولذلك، فهي " مؤسسة أساسية، ثقافية تختلف من مجتمع إلى آخر، والعلاقات بين أفراد الجماعة الأسرية ليست مستقرة، لكن تتغير في الزمان والمكان"[2].

وخلاصة القول، أنّ من الوظائف الأساسية التي لا يمكن لأيّ مؤسسة أخرى أن تضاهي فيها الأسرة هي وظيفة التنشئة الاجتماعية التي يتلقى الأبناء مقوماتها وقواعدها، التي تعتبر أساس الحياة ككلّ إن صلحت صلح الفرد والعكس صحيح. ومن هنا تظهر أهمية الأسرة ووظائفها التي يمكن أن نقوم بها نحو الأبناء في العملية التربوية.

---

1 محمد سلامة، محمّد غباري، نفس المرجع، ص 38

2 Bremond Jamie: La Famille en question, ed.Cahier, Paris, 1986, p 7 et p 9 et p11

المبحث الثالث: أدوار ومكانة الأفراد بين البنية التقليدية والمعاصرة:

1- مكانة الأب في الأسرة:

تبعا للتعريف الرسمي، فإنّ الزوج – الأب – يعتبر رئيس الأسرة، إلاّ أنّ المناخ الاجتماعي المتغير أثّر في نوعية العلاقات الداخلية في الأسرة، من حيث علاقة الزوج بالزوجة والآباء بالأبناء. وإذا كان الأب مازال رئيس الأسرة، فإنّ هذه الرئاسة لم تعد بنفس التسلط والعنف الذي كانت عليه في الأسرة الممتدة التقليدية لأسباب عدة، بعضها اجتماعي مثل ارتفاع مستوى التعليم، وبعضها تسبب عن التصنيع والتكنولوجيا، مثل ابتعاد مكان العمل عن المنزل وفتح أبواب العمل أمام المرأة وتطلعها إلى دور أكثر فعالية في أسرتها "[1]. ويتضح من هنا أنّ السلطة التي تمتع بها الأب وبالأخص الرجل في الأسرة الجزائرية خاصة والأسرة العربية بصفة عامة تقلصت عمّا كانت عليه في البنية التقليدية، حيث أصبحت في بعض الأحيان تأخذ طابع وشكل الحوار التربوي الذي لا يكون فيه مكان للصفعة أو العصا، بل للتفاهم والنصيحة الأخلاقية"[2]، إلاّ أنّه تجدر الإشارة إلى ضرورة التحفظ في شأن مقدار وحجم تغيير أسلوب تعامل الآباء مع الأبناء حتى لا نحكم عليهم بالتغيير (بالسلب أو بالإيجاب) بصفة مطلقة، فقد كانت العلاقات في البنية التقليدية للأسرة مركزة مع ذلك على نوع من الاحترام المطلق نحو الأب، سواء من قبل الزوجة أم الأبناء على حدّ السواء. وقد يمتد هذا الاحترام إلى نوع من الخوف والخجل المتواصل إلى درجة عدم التمتع بالشجاعة الكافية للتحدّث إليه أو الحديث بصوت مرتفع أمامه، ولكن الأمر قد تغيّر بالنسبة

1 سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، مرجع سابق، ص 94

2 Mustafa Boutefnouchet: La Famille Algerienne ,ed:SNED, Alger, 1982 , p 301

لدور الرجل كأب، فإنّه لم يعد في الوقت الحاضر مجرد أب بيولوجي وعائل لأطفاله وفارض للنظام والانضباط عليهم، فكثير من الآباء اليوم يشاركون أطفالهم حياتهم ويحاولون فهم مشاعرهم والتعاطف معهم، كما يلعبون دورا هامّا في تربيتهم ورعايتهم"..[1]. فلعل هذا التغيير الذي أحدثه الأب مدفوعا بظروف معينة هي أنّه أراد الانتقام من التربية التي تلقاها، التي عانى من خلالها قسوة الأب أو الأخ الأكبر أو العم، وقد تكون الوضعية الجديدة التي وجد الأب نفسه فيها محاطا بتقدير اجتماعي جديد بفضل ارتقاء أبنائه في السلم الاجتماعي المهني سببا في هذا التغيير"[2]. وفي هذا الإطار، يظهر البعد الاقتصادي الذي يمكن أن يؤثّر على العلاقة بين الآباء والأبناء وتتكرر هنا فكرة أنّ أمر السلطة الأبوية مقترن في كثير من الأحيان بأمر الإعالة أكثر من أيّ شيء آخر.

على العموم، هناك كثير من التغيرات التي أدّت إلى إحداث التغيير في مكانة الأب منها عامل الاستقلالية الاقتصادية للأبناء، حيث يصبح الأبناء في هذه الحالة غير خاضعين للأب من الناحية المادية، والأمر ذاته بالنسبة للأم، حيث إنّ عمل المرأة بدوره قد أدّى إلى بعض التغيير في العلاقة بين الزوجين، لأنّ الزوجة في أسر كثيرة قد تقوم بإعالة أسرتها كما يقوم بها الأب تماما.

ولكن هذا لا يدل بأيّ حال من الأحوال على فقدان الأب لمكانته ومركزه في الأسرة كالّرجل والمسؤول الأوّل فيها، ذلك أنّ الأسرة العربية والجزائرية خاصة لا تزال مع كل التغيرات وفية إلى حد ما للعادات والتقاليد التي هي جزء لا يتجزّأ من هويتها الثقافية، ولذلك نجد أنّ دور الأب لا يزال مقترنا بالطاعة والعقاب والسلطة ولكن بتعديل إيجابي في طرق التعامل

---

1 سناء الخولي،، الأسرة والحياة العائلية، مرجع سابق، ص 94

2 Mustafa Boutefnouchet ,opcit , p 301

والتنشئة. ويبقى أن نشير أيضا هنا إلى أنّ لشخصية الأب الدور الأكبر والأهمّ في كيفية تحقيقه للدور الحقيقي للأبوة.

2- مكانة ودور الأم في الأسرة:

تعتبر الأم في الغالب أكثر ارتباطا بالأبناء بناء على أنّها في الحالات العادية هي التي تقضي الوقت الأكبر مع الأبناء، كما أنّه تلقى عليها أعباء التنشئة الاجتماعية للأبناء بصورة أكبر.

إنّ الأم تحتل المرتبة الثانية في مخطط الأسرة من حيث تحديد المكانات، رغم أنّ أدوارها في الأسرة جدّ هامّة، فهي وسيلة لتنمية الأسرة بتقوية الروابط، وبالرغم من أنّ الرجل يمثل السلطة إلاّ أنّها في بعض الأمور هي التي تصنع القرارات المهمة التي تؤثر في حياة أولادها وتقرّر مصيرهم"[1].

وما يلاحظ، أنّ كثيرا من مشاكل الأبناء، المتعلقة بالجانب العلائقي لهم في الأسرة، يكون طرفها الثاني مرتبطا بطبيعة الوالد وأساليب تعامله معهم، حيث إنّ الأم كثيرا ما تلعب، على العكس من ذلك، دور المهدّئ والوسيط الدّائم بين الطرفين. وبناء على هذا، فإنّ "للأم" في الأسرة دورا يكاد يكون متميزا، فهي تحاول جاهدة أن تخفف من حدّة التسلط الأبوي في الأسرة، كما تقوم بدور الوسيط في حالة اختلاف وجهات النظر بين الآباء والأبناء، أو في الحالات النادرة التي يظهر فيها صراع الأدوار والأجيال على سطح التفاعل بين الآباء والأبناء، لذا تصبح الأم وسيلة إرضائية تشبع من خلالها رغبات الأبناء، وفي نفس الوقت وسيلة لتأكيد أو تدعيم مركز الأب كمصدر للسلطة في الأسرة"[2].

---

1 حليم بركات، مرجع سابق، ص 181

2 السيد عبد العاطي السيد وآخرون، الأسرة والمجتمع، رجع سابق، ص 98

ولذلك، نجد أن الأبناء يشعرون بأنّ الأم هـي أكـبر مصـدر لهـم للرعايـة والحنـان، وأنّها الشخص الذي يعبر عن رغباتهم أو الذي يطلب منه التوسـط بيـنهم وبـين الأب، والأمّهات أنفسهن يدركن أنّ معاملتهنّ لأطفالهن تختلف عن معاملة الأب لهم، حيث إنّها تفتقر إلى السلطة القوية التي يتمتع بها الأب. ومن ناحية أخرى، فإنّ الابتعاد عن الأب والبقاء بعيدا عن فراشه وهو نائم، والاستكانة للهدوء أثناء وجوده في المنزل، هو من الأشياء التي تظل الأم ترددها وتعيدها للأطفال، تخويفا من العقاب. فسلطة الأب أمر لا يمكن التهرّب منه كما أنّ أي تغيـير في لهجـة صـوته لا بـدّ أن يؤخـذ في الاعتبـار بشكل جدّي"[1].

إنّ من مميزات الأسرة المتماسكة، المحافظة على ترابط وتمتين العلاقات الاجتماعيـة بين أفرادها، وما يزيد الأم تميزا هو أنّ كثيرا من الأمّهـات يجـدن سـعادتهنّ في سـعادة أسرتهن، وفي سعادة أبنائهن، ودليـل ذلـك اسـتعداد الكثـير مـن الأمّهـات الجزائريـات للتضحية بسعادتهنّ الشخصية على حساب المحافظة على بناء الأسرة وسعادة الأبناء.

3- مكانة ودور الأبناء في الأسرة:

إنّ لوجود الأبناء في الأسرة أهميـة بالغـة وأثـرا عظـيما عـلى سـير الحيـاة الأسريـة، ولكـن تجـدر الإشـارة مـع ذلـك إلى أنّ هـذه الأهميـة قـد تتعلـق بالنسـبة لكثـير مـن الأسر بجـنس الأبنـاء وتـرتيبهم بـين الإخـوة والأخـوات، وذلـك أنّ الجـنس يعتـبر بالنسـبة لـبعض الأسر مقياسـا للتعامـل مـع الأبنـاء، خاصـة في البنيـة التقليديـة، " فمـيلاد ذكـر في العائلـة كـان يقابـل بارتيـاح أكـبر مـن مـيلاد أنثـى،

---

1 غريب سيد أحمد وآخرون، مرجع سابق، ص 181

فالأب يرى في الذكر رفيقا له ومساعدا لـه في أعمالـه ووصـيا عـلى أمّـه وإخوتـه بعـد موته"[1].

وبالإضافة إلى أهمية عامل الجنس، لا بدّ من الإشارة إلى أهمية ترتيب الابن الـذكر بالنسبة للإخوة الآخرين، حيث إنّ كون الابن أكبر إخوته يعطيه الكثير من الامتيـازات تجعل منه المسؤول المباشر بعد الوالد في الأسرة، وهذا خاصة في البيئة التقليدية.

وفي هذا الصدد، يمكن أن نشير إلى " تطور مركز ودور الابن الأكـبر الـذي يكـون في البناء التقليدي مرتبطا دائما بربّ العائلة، وفي البناء الاجتماعي الجديد يكون هذا الابن رجلا متحرّرا – نظريا – من الوصاية الأبوية، قادرا على المبادرة الخاصة، فهـو لا يلعـب فقط دور ابن العائلة، وإنّما أيضا هو مواطن يملك مؤهّلات: عملا كفؤا، مستوى تكوين لا بأس به، موقفا سياسيا مسؤولا، وكذلك، فهو يتمثل في موضع أفضل كفاءة عن الأب وأفضل مستوى من تكوين الأب أيضا[2].

وهذا من العوامل التي يمكن أن تغير من وضع الابـن في الأسرة الواحـدة مـن فـترة إلى أخرى خاصة في مرحلة الشباب.

هذا من جهة، إلاّ أنّنا يمكن أن ننظر إلى موضع الأبناء في الأسرة أيضا مـن حيـث تغيـير الأبعـاد الاجتماعيـة والاقتصـادية لـلأسرة في انتقالهـا مـن نمـط تقليدي إلى نمط متحضّر، حيث " فقد الطفل أو رجل المستقبل القريب مـن خلال هذا التحول والانتقال ما كان له من قيمة اقتصادية ارتبطـت تقليـديا بمكانته في الأسرة، وأصبح على العكس من ذلـك عبئـا ثقـيلا عـلى إمكانيـات الأسرة اقتصاديا ونفسيا حتى مرحلة متـأخرة مـن حياتـه[3]. وتختلـف كـذلك

1 Fanon Frantz: Sociologie d'une révolution, pcm, Paris,1982 , p 90.

2 Mustapha Boutefnoouchet ,opcit, p 223

3 السيد عبد العاطي السيد وآخرون، مرجع سابق ص 210

العلاقة مع الأبناء الذكور فيها عن الفتيات، على الرغم من التغير الذي حدث من البناء التقليدي والبناء المعاصر، حيث تقابل الفتاة بقواعد من المنع والفرض تتعلق بمعايير وأعراف ثقافية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الأبناء يمكن أن يفرضوا نفسهم في الأسرة من خلال ما يمكن أن يمارسوه من وظائف أو ما يمكن أن يلحقوه من مستويات تعليمية، "وما يلاحظ بالنسبة للفتيات أنّه على مستوى العائلة، خلقت وضعية جديدة بالنسبة للمرأة، فهي لم تعد أبدا تحت السلطة المطلقة للأب، الابن، الزوج أو الحماة، لكنها هي مع ذلك تحافظ على الاحترام وأيضا طاعة الوالدين، ولكن الوضعية الجديدة تسمح لها بأخذ الكلمة وأخذ المبادرة وتسيير حياتها الخاصة بشرط تفادي التناقض الفاضح مع عائلتها[1].

أمّا من الناحية المادية، فإنّ التغيرات الجديدة التي حدثت، التي سمحت للمرأة بالعمل مكّنت الفتاة كابنة من اكتساب مركز ومكانة هامة أيضا في الأسرة، تجعلها في كثير من الأحيان بالموازاة مع أخيها الرجل..

والوقع أن هذه المعلومات الأسرية يمكن أن تساعدنا في قراءة التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية، انطلاقا من محاولة الكشف والتعرف على مختلف الميكانيزمات الاجتماعية، التي يمكن أن تتدخل في توجيه أو سير هذه العملية، على أساس أن كل أسرة يمكن أن تستمد خصوصيتها من مجموعة القواعد والأحكام الاجتماعية التي تشارك في رسم الخارطة الجغرافية للبيئة الأسرية، انطلاقا من خصائص التنشئة الاجتماعية المتأثرة بالتغير الاجتماعي.

1 Mustefa Boutefnouchet , Opcit, p 224

وقياسا على هذا، فإن التعرف على بناء جغرافية الأسرة الجزائرية انطلاقا من دراسة خصائصها وتوزيع مكانات وأدوار الأفراد فيها، يسمح لنا بقراءة مختلف مظاهر التغير الاجتماعي في الأسرة..

خاتمة:

إن أهمية الأسرة كأولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، تنبع من خصوصية العلاقات الموجودة بين أفرادها، كما أن الحديث عن الأسرة اليوم يقتضي أن يأخذ بعين الاعتبار التطور التقاني الذي انعكست نتائجه على نمط الحياة الاجتماعية. وبعدما كان التلفزيون يشغل حديث الحقل العلمي لسنوات عديدة، من خلال مختلف الإشكاليات التي أثيرت حينها حول التخوف من مضمونه على عملية التنشئة الاجتماعية، وعلى عملية الاتصال الأسري، يأتي اليوم في زمن العولمة هذا "الكوكتال" التكنولوجي من هذه التقنيات الجديدة لتثار حوله مرة أخرى نفس الإشكالات، ولكن بوقع أقوى من حيث الكم والكيف، بالنظر إلى جملة الخصائص الحديثة المغرية التي تتميز بها هذه التقنيات، التي تحفظ في مجملها خصوصية الفرد بشكل يجعل الإقبال عليها منقطع النظير، ما يرشحها لمرتبة المنافس القوي الذي يكاد يسرق المرء من أمه وأبيه!

الفصل الثاني
الأسرة والتغير الاجتماعي

مدخل:

المجتمع هو مجموعة معقدة من العلاقات الاجتماعية ومحصلة لسلسلة من التغيرات التي تصيب الحياة الاجتماعية في جميع المستويات والمجالات، ولذلك هو في حالة مستمرة ودائمة من الحركة والتعديل.

والواقع أن ظاهرة التغير الاجتماعي تعكس مضامين على مختلف الأنساق الاجتماعية في المجتمع كالنظام الأسري، الاقتصادي، الثقافي، الاجتماعي... الخ. بشكل يجعل التغير في هذه الأنساق أمرا طبيعيا، وإن كان قبول التغير الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية ليس بالأمر السهل، فقد تشكل بعض العوامل كالعادات والتقاليد لمنظومة القيم- لما تمتلكه من سلطة على الأفراد- عائقا لحركة التغيير، وهو ما يمثل نقطة الصراع الحقيقي في التغير الاجتماعي التي تحصل بين هذه الجوانب المعنوية (غير المادية) كالقيم والعادات، والجوانب الأخرى المادية التي تشكل الوجه البارز لحركة التغير.

والتغير لا يترك مجالا في الحياة إلا طرقه، ولعل الأسرة هي من أشد المؤسسات حاجة إلى التكيف مع معطيات التغير الاجتماعي، لأن حركة التغيير ستطال بنيتها وأفرادها وعلاقاتهم داخلها.

المبحث1: ماهية التغير الاجتماعي

لا يوجد مجتمع لا يتغير، وإن كان يبدو ساكنا مستقرا يسير في اتجاه تحقيق وظائفه، إلا أنه يتغير بسبب وجود قوى تعمل في أعماقه لتجديد التوازن أو لتأسيس نظم جديدة.

"هذا، ويعني التغير الاجتماعي بالنسبة لعلم الاجتماع ظهور اختلاف يمكن ملاحظته في البناء الاجتماعي أو في العادات المعروفة أو في معدات أو

آلات - لم تكن موجودة من قبل، أو بمعنى آخر يشير التغير الاجتماعي إلى العملية التي تؤدي إلى اختلاف الموضوع (نظام، نسق، قاعدة، قيمة، أداة... إلخ)، بالمقارنة بحالة سابقة له في مدى قريب أو بعيد. وعملية التغير الاجتماعي على هذا النحو ليست مجرد إضافة آلية أو إقصاء لبعض الأنماط والسمات السابقة بطريقة كمية، وإنما هي إلى جانب ذلك عملية إضافة وتعديل كيفية لسمات ثقافية مختلفة"[1].

وعلى العموم، فإن التغير الاجتماعي يعني على أبسط الوجوه أنه الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، وهو بهذا الشكل ذلك التحول الذي يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة زمنية، بحيث يتصف بالاستمرارية والديمومة " فالتغير يعني في جوهره تتابع المجتمعات خلال الزمن في وحدة مستمرة، فإذا لم يتوفر لدينا وحدة مستمرة بغض النظر عن كونها شجرة أو كائنا حيا أو دولة أو نسقا قرابيا أو دورا اجتماعيا أو معيارا، فلن يكون لدينا شيء نتحدث عن تغيره."[2]

فالتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على كل تغير يصيب التركيبة السكانية للمجتمع أو بنائه الطبقي أو نظمه الاجتماعية، أو منظومة القيمية التي تؤثر على سلوك الأفراد وتحدد مكانتهم وأدوارهم عبر مختلف ممارساتهم داخل التنظيمات الاجتماعية.

1- سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية.ص32

2-. سناء الخولي: التغير الاجتماعي والتحديث، مرجع سابق ذكره، ص 34.

وبناء على هذا يكون التغير الاجتماعي "كل تغـير يطـرأ عـلى البنـاء الاجتماعـي في الكل أو الجزء أو الشكل أو في النظام الاجتماعـي، ولهـذا، فـإن الأفـراد يمارسـون أدوارا اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن."[1]

المبحث2: الثورة الصناعية والتغير الاجتماعي

إن التغير الاجتماعي له صلة وطيدة بالتحولات العديدة والمختلفة التي تحدث في مختلف جوانب وأنماط الحياة البشرية، فما دام المجتمع هو محصلة السلوك الـبشري، فإن التغير له أبعاده الإنسانية لكون السلوك الإنساني متغيرا وغير ثابت.

وتعتبر دراسة التغير الاجتماعي نتيجـة حتميـة للمشـاكل والقضـايا التـي أصـبحت تواجه المجتمعات بسب التأثير التدريجي المتراكم للثورة الصناعية التـي غـيرت بعمـق بناء المجتمعات عامة، حيث "أصبح العالم يتغير بسرعة فائقة بحيث لا يمكننـا افـتراض أن العالم في عصرنا هـو نفسـه في عصر آبائنـا، ولـن يكـون هـو نفسـه في عصر أبنائنـا، فالإنسان المعاصر يعيش عالما اجتماعيا واسعا ومعقـدا يصـعب فهمـه عـن طريـق أي تجربة فردية إلى جانب تغيره السريع والمستمر[2]".

ويتضح من هنا البعد السلوكي الذي يحدد بصورة فعالة حدوث التغـير الاجتماعـي المصحوب بتغير في قيم الناس واتجاهاتهم وعاداتهم السلوكية بما يتوافـق مـع النسـق الاجتماعي الجديد.

هــذا، ويعتــبر التقــدم التكنولــوجي الوجــه البــارز للتغــير الاجتماعــي الــذي أحدثتــه الثــورة الصــناعية، فللاختراعــات والابتكــارات والاكتشــافات العلميــة

1 جمال محمد البديعي: مدخل إلى علم الاجتماع، دار الفكر للنشر والتوزيع، 1991، ص 105.
2 سناء الخولي: مرجع سبق ذكره، ص 38

الجديدة المتجددة أثرها الكبير على التغير الاحتماعي مثل اكتشاف وسائل النقل المتطورة وتقنيات ووسائل الاتصال المختلفة، كلها اجتمعت معا لتأسس ثقافة جديدة، ونمط حياة متجدد يعيشه الإنسان يوميا عبر تعامله المستمر والمتواصل مع هذه الوسائط التكنولوجية الحديثة.

"إن مرحلة التكنولوجيا الحديثة هي مرحلة ثقافة الآلة الكهربائية والسبائك المعدنية، فمع استخدام الكهرباء كقوة محركة اتسع نطاق بناء محطات توليد الكهرباء، واتسع بالتالي النشاط الصناعي... ويعتقد التفسير التكنولوجي للتغير الاجتماعي أن المخترعات والآلات لا تنتج نفسها بنفسها، بل إنها نتاج إنساني واجتماعي[1]".

إن أول ما تفكر فيه فيما يتعلق بمصادر التغير الاجتماعي فكرة الاكتشاف، والاختراع وبخاصة فيما يتعلق بدور التكنولوجيا، والمخترعات الحديثة في إحداث تغييرات تتعلق بوضع الشباب واتجاهاتهم ومواقفهم. وهنا تجدر الإشارة إلى أن السيارة والتلفون اللاسلكي والمحمول والتليفزيون والفيديو والفضائيات وشبكة المعلومات "Internet" يحدث جميعها تأثيراته المختلفة على الشباب في جميع المجتمعات، إلا أننا لا نستطيع أن نزعم أن التكنولوجيا هي المؤثر الوحيد في التغير الاجتماعي، وإنما هناك محددات اجتماعية وثقافية للتكنولوجيا، فالقول " إن الحاجة أم الاختراع" إنما يعني أن هناك شروطا مسبقة تحفز على التغير التكنولوجي، ومن جهة أخرى، فانتشار المعرفة الذي يعد عاملا ثقافيا يشجع التغير الاجتماعي، ويعجل بحدوثه[2].

1عبد الحليم رضا عبد العال: التغير الاجتماعي وهيكلة المجتمعات المعاصرة، المكتبة الأنجلومصرية، مصر 1، 2005، ص25

2سامية الساعاتي، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، مرجع سابق ص 26-27-47-48.

المبحث3: وطأة التغيير وتكاليفه على الأسرة والمجتمع

1- وطأة التغيير:

قد يكون للتغيير وطأة على أي مستوى أو مجال في المجتمع، وقد يؤثر على المجتمع بكامله، فلا يوجد تغير اجتماعي يترك بقية الحياة الاجتماعية دون تأثير، سواء كان هذا التأثير مقصودا أم غير مقصود، مثل ذلك ما يتعلق بالتأثيرات الاجتماعية للاختراعات والتجديدات، حيث "يرى "أجبرن" أن تأثيرات الاختراع على المجتمع لها درجات وأنواع مختلفة، وأول هذه التأثيرات الخاصة بالاختراعات هي تلك العادات عند الأفراد الذين يستخدمون هذه الاختراعات... وعموما، فقد كان للاختراعات دائما تأثيرات واضحة على المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة، وهناك أيضا تأثيرات إضافية، هي تلك التي تؤثر في أخلاق وقواعد السلوك المتعلقة بهذه التغيرات المادية، ويلاحظ "إجبرن" أن التأثير الأخير يظهر في نظم التفكير أو في الفلسفات الاجتماعية التي تميل إلى أن تتأثر بالاختراعات"...

ويرى "سيمان " أنه قد تظهر مجموعة من الافتراضات حول العلاقة بين التغير الاجتماعي والاغتراب، حيث يشير الاغتراب إلى حقيقية أن هناك ستة تصورات مرتبطة ولكنها متمايزة.

1- الإحساس بانعدام القوة: وهذا يعني انخفاض الأمل في أن سلوك فرد ما يمكن أن يتحكم في المكافآت الشخصية والاجتماعية التي يحصل عليها.

2- الإحساس بانعدام المعنى: وهذا يعني الشعور بعدم القدرة على فهم الشؤون الاجتماعية التي لا يفهم الفرد ديناميكيتها.

3- الإحساس بانعدام المعايير: وهذا توقع قوي بأن الوسائل الاجتماعية غير الموافق عليها مطلوبة لتحقيق أهداف معينة، مثل الثروة، المركز المرموق... إلخ.

4- عزلة القيم: وتعني رفض الشخص للقيم السائدة في المجتمع وتقدير قيمة أقل للأهداف أو السلوك الذي يتميز بقيمة عالية في مجتمع معين.

5- النفور الذاتي: معناه أن يكون الشخص منشغلا في أنشطة غير مجزية في حد ذاتها.

6- العزلة الاجتماعية: وتعني توقع الشخص المنخفض للقبول الاجتماعي، وأنه غير مرغوب فيه أو منبوذ، ويظهر هذا الانعزال في صورة الشعور بالوحدة والرفض."

وعموما، فقد استخدم مفهوم الاغتراب في تفسير عدد من الاستجابات المختلفة للتغير الاجتماعي السريع.[1]

*_التغير والتفكك الاجتماعي:

يقول "روبرت بارك" في كتابه عن التغير الاجتماعي والتفكك الاجتماعي: " نحن نعيش فترة من التفكك الاجتماعي، فكل شيء في حالة تهيج، وكل شيء يبدو أنه عرضة للتغير، وأي شكل من أشكال التغير ينتج عنه تحول وتبدل يمكن قياسه في روتين الحياة الاجتماعية يميل إلى أن يحطم العادات التي يقوم عليها التنظيم الاجتماعي القائم، وكل وسيلة جديدة تؤثر في الحياة الاجتماعية والنظام الاجتماعي، لها تأثيرها الواضح في التفكك، وكل اكتشاف جديد وكل اختراع جديد، وكل فكرة جديدة تعتبر شيئا مزعجا ومقلقا، ومن الواضح إذن أن أي شيء يجعل الحياة أكثر جاذبية وتشويقا يعتبر خطرا على النظام القائم"[2].

والواقع أنه في كثير من الأحيان يكون التغير الاجتماعي دافعا مهما للتفكك الاجتماعي، " فنحن " عندما نقول عن جماعة أو تنظيم أو مجتمع إنه

---

1 Melvin seemon: Alimentation and engagement In Angers Campbell and Philippe. Conserve (eds) The Human Meaning of social change" New York , Russell sage , 1972 , pp 472-473.

2 Robert Park: « Social Change and Social Disorganiztion » stuart

مفكك، فنحن نعني أن بناءاته من المراكز والأدوار لا تعمل كما يجب لتحقيق أهدافه"[1].

وهكذا، فإن التفكك يستلزم زعزعة التنظيم الاجتماعي، بشكل قد يجعل من عملية التغير الاجتماعي دافعا للتفكك الاجتماعي من خلال خلق ظروف للقيم والاهتمامات المتصارعة، وحتى مظاهر من الاتصال الزائف أحيانا، باعتبار أن التصارع في اهتمامات الأفراد ينشأ عادة من التعقيد المتزايد في الحياة الاجتماعية. ومن هنا، قد ينظر أيضا على وجه الإسقاط إلى التغير التكنولوجي باعتباره سببا في التفكك الاجتماعي.

2- تكاليف التغير:

يقول "كريستوفر رايت": "عندما تتغير الأشياء من حولك، فإن تغيرا موازيا يحدث في داخلك".

على مستوى الأسرة، من أهم عواقب هذا التغير في العلاقات بين الآباء والأبناء ما يطلق عليه علماء الاجتماع "ثغرة المراهقة"، أي عندما يتحرر الابن من العلاقات الأبوية المكثفة لسنوات حياته الأولى، وهذا يعني من الناحية النفسية فترة من التردد وعدم التأكد بالنسبة للشباب، وهذه الفترة ينتج عنها بعض أعراض الاضطرابات مثل: المجازفة، والبحث عن الأمن، والحب، والجري وراء الموضة، والاندفاع في التجارب، واللامبالاة والفتور. وقد أشار كثير من الدارسين إلى هذه الحقيقة التاريحية، وهي أن المجتمعات الصناعية الحضرية شهدت نموا في مجازفة وانحراف المراهقين."

إن ظاهرة التغير الاجتماعي هي إذن من الحقائق الواقعة في كل المجتمعات على اختلاف أنواعها، وإن بدت هذه الظاهرة متباينة في الشكل والمضمون، وقد كان التقدم التكنولوجي بما استحدثه من وسائل وتكنولوجيات الاتصال الأثر البالغ في رسم ملامح ونمط الحياة داخل المجتمعات الإنسانية، هذه

---

1 سامية الساعاتي: الثقافة والشخصية، دار الفكر العربي، ط: 4، 2001، ص: 27-29-30

التكنولوجيات التي أصبحت تتدخل حتى في صناعة الأذواق والعـادات والأفكـار لـدى البشر.

وتعد فترة الشباب أكثر مراحـل العمـر تـأثرا بـالتغيرات الاجتماعيـة، التـي تطـرح اختيارات عديدة فيما يتعلق بالالتزام بالحاضر والمستقبل، كما أن هذه التغيرات تعمل على وضـع الشـباب في موقـع يشـعرهم بـأن المجتمـع الـذي ينتمـون إليـه لا يمـنحهم التوجيـه الملائـم للاختيـار السـليم. وذلـك نتـاج التغـير الاجتماعـي، وغمـوض الأدوار الجديدة، إلى جانـب المكانـة التـي أصـبح يشـغلها الشـباب في المجتمـع المتغـير. ومـن اللافت للنظر، أن الشباب هم أكثر الفئات تأثرا بنتائج التغـيرات الاجتماعيـة، وخاصـة العلاقة بين الأجيال. فهذه التغيرات تخلق تناقضا بين الأجيال المختلفة، فهـي عـادة مـا تكمن وراء الصراعات بين جيل الشباب من جهة وجيل الكبار من جهـة أخـرى، الـذي غالبا ما يتجه إلى الملاحظة على الأوضاع القائمـة، وهـو يـرفض أو يعـارض كـل مـا هـو جديد، في حين يشجع جيل الشباب النتائج المصاحبة للتغيرات الاجتماعية وربما تـفسر لنا هذه الصراعات أيضا ما يعانيه شباب العصر من مشكلات يشخصها الكبار على أنها تعني الانحراف أو الاغتراب، لأن الأنماط السلوكية التي تعـبر عـن هـذه الحـالات هـي أنماط خارجة عما اصطلح عليه المجتمع وخاصة " مجتمع الكبار " من مواصفات."

المبحث 4: الأسرة العربية والتغير الاجتماعي

تعتبر الأسرة النواة الأساسية للتنظيم الاجتماعي، فهي المؤسسـة التـي تتمحـور حولهـا حياة الأفراد والكيان الذي يتوارث فيه الأفراد والجماعات اتّجاهاتهم وثقافتهم وانـتماءهم بمختلف جوانبه (الديني، الطبقي، الاجتماعي... إلخ). " والتحليل السريع لهذه المؤسسـة العائلية في وطننا العربي يكشف عن سمات لها آثارها الواضـحة في تكـوين طـراز الثقافـة السائدة بالمعنى الواسع للكلمة. فالعائلة العربية لا تـزال إلى حـد كبـير وحـدة اجتماعيـة

إنتاجية، العضو فيها مسؤول عن سائر الأعضاء، وهي عائلة أبوية يحتل فيها الأب رأس الهرم وتحتل فيها هالته على حدّ تعبير " فرويد " مكانة أساسية في التنشئة، وفي هذه العائلة تحتل المرأة في معظم الحالات موقفا دونيا ومثلها الصغار... أما أنماط التنشئة التقليدية في العائلة العربية فلا تزال إلى حد بعيد تركن إلى العقاب الجسدي والترهيب ولا يزال سلوك الطاعة والامتثال هو السلوك المفضل."[1]

وكغيرها من المؤسسات الأخرى، فقد تأثرت الأسرة العربية بالتغيرات التي مست مختلف جوانب الحياة البشرية، ذلك أنّ " تعامل الإنسان العربي في الوقت الحاضر مع التقنية المعاصرة يغير بالضرورة صلاته التقليدية بذاته وبالآخرين وبالطبيعة... فالآلات والنماذج التقنية التي يستعملها ليست مجرّد أدوات يستعملها لتغيير مجاله الطبيعي ومحيطه الاجتماعي، بل هي فوق ذلك رؤى وتصورات ضمنية تنعكس على مستوى علاقته بالتقاليد وتدفعه إلى إعادة تأويلها"[2]، فالأنماط التي كانت تتفق مع الأشكال السابقة للحياة في المجتمع أصبحت اليوم مصدرا للصراعات الزواجية بعد أن أصبحت أساليب الحياة أكثر تحضرا، ونتيجة تحول الوظائف الاقتصادية واستقلال المرأة الاجتماعي والاقتصادي والتغير الذي حدث في إيديولوجية الزواج، تغيرت طبيعة الأسرة في ظل ظروف الحياة الحضرية. فالأسرة الحضرية قد فقدت كثيرا من وظائفها التي كانت في البداية من أسباب قوة الجماعة وعوامل تماسكها ووحدتها. فقد اختفت بدرجة كبيرة وظائف الأسرة الاقتصادية والتقليدية والدينية والترويحية، كما فقدت جزءا كبيرا من وظائفها الوقائية في حالات العجز أو الشيخوخة بنمو الخدمات الاجتماعية التي توفرها

1 عبد اللـه عبد الدايم، التربية وتنمية الإنسان في الوطن العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1988، ص 244.

2 المختار الهراس، ملاحظات حول التقليد والتغير في المجتمعات العربية، مجلة الوحدة العدد 57، 1989، المجلس القومي للثقافة العربية، دار النشر: انترجراف، إيطاليا، ص 9

الدولة."[1] ولا يعني هذا أنّ صفات العائلة العربية صفات ذميمة كلّها، وأنّ ما ذكرنا من قسماتها حظ مشترك نجده في العائلة العربية أنّى كانت، فهناك صفات إيجابية هامّة... بل إنّ بعض ما ذكرناه من نقائص التنشئة في العائلة العربية ظاهرة تختلف من بيئة إلى بيئة، لا سيما بين المدينة والريف والبادية. وأيّا كانت الحال، يظل المناخ الثقافي الذي تولّده العائلة مصدرا أساسيا "[2].

وأخيرا، فإنّ " الأسرة العربية أسرة تقليدية تقتفي الماضي وتمجّده وتحافظ على القيم والأعراف والطقوس والشعائر الدينية، وتحاول تحقيق الاستقرار لأعضائها. وينبثق عن هذا الهيكل لشكل الأسرة العربية نسق قيمي عام يندرج تحته عدد من الأنساق القيمية المختلفة باختلاف الأنماط الحضارية الثلاثة للأسرة العربية (الأسرة الحضارية، الأسرة الريفية، الأسرة البدوية)، وداخل كل نمط أيضا تلعب تأثيرات الطبقة والثقافة دورا مميزا في اختلاف الأدوار والوظائف وأساليب التفاعل والتنشئة الاجتماعية[3]، ويبقى أنّ للعائلة العربية سمات خاصة تميّزها بالمقارنة مع الأسر الأخرى، سواء كان ذلك من حيث البنية العامّة أم من حيث الأنماط التي تتبعها هذه الأسرة في تنشئة أبنائها، على الرغم من المظاهر المختلفة للتغير الاجتماعي الذي أضحى يطال السلوكات الاجتماعية للأفراد من نواح مختلفة. ففي مجال حدود العلاقة بين الجنسين، أصبحت مواضيع النزاع بين الجيلين (الآباء الأبناء) تطال الخروج ومواعيد أو رفقة الجنس الآخر، حيث إن قطعة الجنس لم تعد تنطق عن نفس الصفات الاجتماعية المتعارف عليها من قبل، فالعلاقات بين الجنسين آخذة في التغير بشكل واضح للعيان، كما أن وضعية المرأة تغيرت تماما، فالنساء أصبحن يملأن الشارع، وأصبحن ينافسن الرجل في كل الأعمال.

1 محمود حسن، مرجع سابق، ص 227

2 عبد اللـه عبد الدايم، مرجع سابق، ص ص 244-245

3 عفاف عبد العليم، إبراهيم ناصر: مرجع سابق، ص 132

وبالإضافة إلى ذلك، فقد شهدت الأسرة أيضا تغيرات مست شبكة العلاقات بين الأقارب، حيث أصبحت هذه الأخيرة عند سكان المدن تتسم بالفتور، حيث قلت الزيارات القريبية، وباتت العلاقات بين الأخوة والأخوات تتسم بالتباعد والتراخي. وعلى خلاف ما كانت عليه، أضحت المناسبات الرسمية كالأعياد والأفراح العائلية تكاد تكون الفرص الوحيدة للاحتكاك الأسري. وحتى ثقافة الغذاء قد تغيرت جذريا، ففي حين كان المنزل هو الملاذ الأول لتلبية حاجات الغذاء، توانى خطوات إلى الوراء ليفتح المجال واسعا جدا أمام "الفاست فود" والأكلات الجاهزة. إلا أنه رغم كل هذه التغيرات، لابد أن نشير إلى عدم جواز التعميم خاصة عندما يتعلق الأمر بالمجتمعات الريفية، التي نجدها على قدر كبير من المحافظة.

المبحث 5: الأسرة الجزائرية والتغير الاجتماعي

تتميز الأسرة الجزائرية ببنيتها الهرمية، حيث يحتل الأب المكانة والمركز الأوّل ثمّ تأتي في مرتبة ثانية الأمّ التي تتمتّع بصفات ومركز هام جدا يعطيها نوعا من الخصوصية في علاقتها مع الأبناء، ولعل حقيقة التغيير السريع في حياتنا الحديثة، هو من أكثر ظواهر حياتنا الجديدة وضوحا وشمولا وأجدرها بالاهتمام. " فإذا كان هناك ما يميز عصرنا الحاضر، فهو سرعة التغيير الثقافي، حتى إنّ الأشياء التي يحاول الناس الإبقاء عليها دون تغيير يصيبها التغيير سواء رغبوا في ذلك أم لم يرغبوا، ومن ذلك كيان الأسرة وعلاقتها التي تتغير استجابة لعوامل التغير المختلفة في ثقافتها وفي غيرها من الثقافات.[1] " والملاحظ أنّ الأسرة الجزائرية المعاصرة تتميز بتقلص حجمها من النظام الأسري الممتد إلى النظام النووي. فبعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعها العام أسرة ممتدة أصبحت اليوم تتسم بصغر حجمها...

1 محمد الهادي عفيفي: التربية والتغير الثقافي، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، 1975، ط4، ص 23

ويرى علماء الاجتماع أنّ الحياة الحضرية أو الحياة في المدينة تؤثر على الأسرة، من حيث الأبناء والسلطة والزواج والإنجاب والوظائف التقليدية للأسرة كالتربية والضغط الاجتماعي والدفء العاطفي لأفرادها... فمن حيث السلطة في الأسرة، نشير إلى أنّ السلطة في المجتمع الريفي ترتبط بالقيم والعادات والتقاليد، وهي غالبا ما تتركّز في كبار السن، في حين بدأت السلطة في المجتمع الحضري ترتبط بالوضع الاقتصادي وبالمركز الاجتماعي، بالإضافة إلى التغير في مركز المرأة، بحيث لم تعد السلطة في الأسرة مركزّة في يد الزوج. وممّا زاد في تعميق هذا، غياب الزوج لفترات طويلة عن المنزل وخروج المرأة لميدان العمل، ممّا سمح لها بممارسة سلطات أوسع بالقياس على ما كان لها وهي في الريف، سواء بالنسبة للأبناء وشؤون المنزل أم بالنسبة للزوج[1].

وبالتالي، فإنّ " العائلة الجزائرية قد تحولت بعمق في مستوى العلاقات الشخصية الداخلية. وبمعنى آخر، فإنّ وضعية من يكوّن هذه البنية تتغير بصفة جذرية، وأصبح بذلك الجميع يشاركون في الصراع بمن فيهم المرأة"[2]، وجدير بالذكر عند الحديث عن الأسرة الجزائرية، أن نشير إلى أنّ ما يطبع التصور العام للأسرة الجزائرية هو ذلك الموقف المزدوج الذي يحمله الفرد الجزائري، حيث نجد أنّ " الشخصية الجزائرية متمزقة بين اتجاهين متصارعين: الرغبة في التوافق مع نظام القيم المتوارثة الذي يرمز إلى هوية المجتمع، وفي نفس الوقت الرغبة في التخلي عن تحدّي العمومية أو ما يطلق عليه الثقافة الحديثة ذات الاحتمالات القوية من المنافع والمزايا التي لا يعترض الجزائريون

1 محمّد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص ص 88-92

2 Meguerbi, Abdelghani, La culture et la personalité dans la société algérienne de massinissa à nos jours,ENAL, OPU, Alger, 1986 p 129

على التمتع بها. وهناك محاولات للمواءمة بين الهوية الرسمية المقررة وبين هوية الطموح التي تولد درجة من تحقيق الذات.

الهوية الأولى، تعتمد على المورث الذي له صفة المقدّس باعتباره المصدر الدائم لهوية الجماعة والهوية الثانية تستخدم التغيّر وسيلة لتحقيق الذات. في مثل هذا الوضع، أي تكافؤ الضدّين الثقافيين، تظهر وسائل للتخفيف من أثر الأزمة الثقافية[1]، والواقع أنّ هذه الصورة للتناقض الحاصل في الشخصية الجزائرية قد أثّرت بشكل أو بآخر على الأسرة وبنيتها، ذلك أنّ هذه الثنائية القيمية بين القديم والجديد قد انعكست على مظاهر الحياة الأسرية بتفاوت ملحوظ. " والحقيقة أنّ التحولات الاجتماعية قد مزّقت وحدة الأسرة من خلال تأثيراتها على تكوين الأسرة وبنيانها ونظام القيم فيها الذي يحكم واجبات الأدوار بداخلها. ولهذا، فإنّ الأسرة تواجه موقفا صعبا، فالأساليب التقليدية للتفاعل داخل الأسرة لم تعد مناسبة مع التغيرات الحديثة. وكذلك، فإنّ الأسرة لم تتكيف بعد مع الأساليب الحديثة. وهكذا، تقف الأسرة في موقف صعب، فهي تمر بأزمة نتيجة لوقوعها فريسة للضغوط المحيطة بها"[2].

وجدير بالذّكر في الأخير، أنّه على الرغم من أنّ الكثير من يرى أنّ الأسرة أصبحت غير قادرة على أداء وظائفها التربوية، بل وقد يذهب البعض إلى أنّ الأسرة قد فقدت وظائفها كلها، إلاّ أنّنا لا بدّ من أن نقرّ في جميع الأحوال بأنّ الأسرة لا تزال محافظة على مركزها الذي يوليها إمكانية التأثير المباشر الأكثر فعالية في الفرد على الرغم من منافسة الكثير من المؤسسات التربوية الرسمية لها في المجتمع. والحقيقة أن التعرض للأسرة الجزائرية، يجعلنا نلتمس خصوصية هامة تتعلق بالهوية الاجتماعية لهذه الأسرة، التي هي نتاج لعوامل تربوية اجتماعية مختلفة طبعتها عملية التنشئة

---

1 عفاف عبد العليم، إبراهيم ناصر: مرجع سابق ص 151

2 عفاف عبد العليم، إبراهيم ناصر، مرجع سابق، ص 159

الاجتماعية للأفراد في هذه الأسرة، مما أسهم في بروز ملامح عامة تميز الأسرة الجزائرية انطلاقا من الذهنية الاجتماعية التي ينفخها المجتمع في أفرادها، مما يجعل لكل النشاطات والتفاعلات الاجتماعية فيها قراءة خاصة تراعي مثل هذه الخصوصية الاتصالية واحدة من هذه المواضيع التي لابد من التعامل معها بحذر نظرا لاقترانها بالحياة العلائقية الشخصية في الأسرة الجزائرية التي يمكن أن تنعكس ملامحها على هذه العملية انطلاقا من الموقف الذي ينظمه الأفراد منها حسب ما نشأوا عليه.

خاتمة:

إن الحديث عن الأسرة بمعزل عن التغير الاجتماعي الذي يصيب المجتمع هو حديث عقيم، بالنظر إلى أن هذا التغير ينعكس على جميع مناحي الحياة الانسانية، فيؤثر على البناء الاجتماعي، وعلى أنساقه المختلفة. ما يجعل عملية فهم ظواهره مرتبطة بالراهن الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وبالمنحى الذي يوجه الحراك الاجتماعي برمته. ولعل التغير الملحوظ في الجانب التكنولوجي يفرز للوجود جملة من المعطيات الجديدة التي تعكس آثارها على كل الأنساق الاجتماعية، والنسق الأسري بصفة أخص، فتصيبه بالتغيير. ذلك أن التغير في التكنولوجيا واستخداماتها لا يخص علاقة الإنسان بها فحسب، بل يمتد هذا التأثير ليغير عاداته وأفكاره، وأذواقه بشكل يغير حتى علاقة الإنسان بالإنسان!

الفصل الثالث

العولمة

المبحث الاول: ما العولمة؟

ا- تعريف العولمة:

منذ بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي والفكر مشغول بظاهرة جديدة لم يتفق المفكرون على تسمية واحدة لها، حيث أطلق عليها البعض "العولمة"، وأطلق عليها البعض الآخر اسم "الكونية"، كما سميت أيضا بالكوكبة، فما هي هذه الأخيرة، وما هي تداعياتها؟

"بإيجاز، يمكن القول إن العالم بعد أن مر بالثورة الزراعة التي احتاجت لآلاف السنين لتجتاح العالم والثورة الصناعية التي احتاجت لمئات السنين، يمر اليوم بالثورة المعلوماتية التي لن تحتاج إلى أكثر من عدة عقود لاجتياح العالم، وربما أقل. وقد تكون الاتصالات ووسائل المعلومات هي أبرز ما في هذه الثورة من تقنية مستحدثة ولكنها ليست الوحيدة، فالعالم مقبل على ثورة في التقنية البيولوجية، وليست تجارب الاستنساخ إلا مقدمة أولى لها، فكل هذه التحولات والتغيرات سوف تؤدي إلى "عولمة" العالم، أي توحده في أكثر المجالات".

والواقع أن تعريف العولمة له أبعاد اقتصادية وثقافية وسياسية، حيث " يحدد رجال الاقتصاد العولمة على أنها انفتاح العالم اقتصاديا على بعضه... والعولمة من خلال التصور الإعلامي هي عبارة عن شبكة من الاتصالات عالية الجودة مثل "شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني" حتى صار العالم مثل قرية صغيرة تتلاشى فيها حدود الزمان والمكان. أما رجال السياسة، فيرون أن العولمة تعني الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية والليبيرالية السياسية وحقوق

الإنسان والحريات الفردية، وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة ونهاية الحدود الجغرافية والسياسية. والعولمة الثقافية تعني توحيد القيم حول المرأة والأسرة وحول الرغبة والحاجة لأنماط الاستهلاك والذوق في المأكل والملبس.. إنها توحد طريقة التفكير والنظر إلى الذات.

يقول "جيمس روزانو"، أحد علماء السياسة الأمريكيين عن العولمة: (إنّها العلاقة بين مستويات متعددة، لتحليل الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والأيديولوجيا، وتشمل: إعادة الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتيجة الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة) [1].

لقد وصف الكاتب الأمريكي الشهير "وليم جريدر" في كتابه الصادر عام 1977م بعنوان "عالم واحد.. مستعدون أم لا؟"، العولمة (بأنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية، وأنّها قادرة على الحصاد، وعلى التدمير، وأنّها تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة، وبقدر ما هي منعشة، فهي مخيفة، فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها، ومن ثمّ لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها).

هي نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة

1نعيمة شومان، العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1418هـ-1998م، ص40.

والحضارات والثقافات والقيم، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم[1](إنها حرية حركة السلع، والخدمات، والأيدي العاملة، ورأس المال، والمعلومات، عبر الحدود الوطنية والإقليمية).[2]

ويعرفها الدكتور "مصطفى محمود" فيقول: (العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته، وقوميته، وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يبقى منه إلاّ خادم للقوى الكبرى[3]).

العولمة هي أيضا "العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، التي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة"[4].

وتعرف أيضا بأنها " تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وعسكريا، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي)،

1محمد سعيد أبو زعرور، العولمة، دار البيارق- عمان، الأردن، الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م، ص 14.

2مصطفى حمدي، العولمة آثارها ومتطلباتها، نقلا عن المصدر السابق، ص 14- 15.

3إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، أحمد مصطفى عمر، المستقبل العربي ص72، نقلا عن مجلة (الإسلام وطن)، عدد 138، حزيران، 1998، ص12.

4أحمد مجدي حجازي، العولمة وآليات التهميش في الثقافة العربية، ص3، وهو بحث ألقي في المؤتمر العلمي الرابع، (الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية) المنعقد بجامعة فيلادلفيا في الأردن في مايو 1998م.

أو هي (محاولة لفرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع) [1].

كما أنها "تعمل على تعميم نمط حضاري، يخص بلدا بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع"، وهي أيضا أيديولوجيا (تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم، وأمركته)[2].

وعلى كل، العولمة هي منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يراد بها إكراه العالم كلّه على الاندماج فيها، وتبنّيها، والعمل بها، والعيش في إطارها[3].

فالعولمة هي إذن ظاهرة معقدة الأوجه، وقد فرض هذا المصطلح "عولمة" نفسه بقوة ليطال العالم بأكمله، محدثا تغييرات في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية تحت قيادة ثورة تكنولوجيا المعلومات.

وبناء على هذه الضجة الفكرية الإيديولوجية الكبيرة، اهتم المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي بشكل كبير بموضوع العولمة كمشروع كوني، وبدأت التساؤلات تطرح حول هذا الموضوع.. فهل العولمة خطر كوني يترصدنا، أم الخطر يكمن في غياب مشروع حضاري عربي يستجيب لمتطلبات العولمة، ويكون بمثابة تأشيرة لدخول الألفية الثالثة بشكل إيجابي

---

1 محمد إبراهيم المبروك وآخرون، الإسلام والعولمة،، الدار القومية العربية، القاهرة 1999م، ص 99،101.

2 انظر العرب والعولمة، محمد عابد الجابري، ص 137.

3 العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، عبد العزيز بن عثمان التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ أيسيسكو ـ الرياض، وهو موجود على موقع أيسيسكو، شبكة المعلومات الدولية

فاعل وليس البقاء في محل المفعول به وحسب. "ويبدو الحديث عن الثقافة في زمن التكتلات الضخمة ومشاريع الأمم الكبرى والحضارات الكونية والعولمة الاقتصادية، أشبه بالسباحة بعكس التيار، ولكن ثمة حقيقة تشفع لنا في البحث في هذه المسألة في هذا الزمن، ألا وهي جملة التحديات التي تواجه الثقافات المحلية والوطنية من جراء مشاريع العولمة والكوكبة في إطار من الغلبة الشاملة، ولا تنبع التحديات التي تواجه الثقافات الوطنية من لقاء ثقافي حضاري بين ثقافتين لا متكافئتين، أو بين نظامين معرفيين متمايزين، وإنما التحديات من لقاء أمة متخلفة، ضعيفة، منهكة القوى، لا تمتلك مقومات السيادة الذاتية، وبين أمة قوية، متقدمة، تمتلك كل مقومات القوة والهيمنة.

ب- العولمة، لغة واصطلاحا:

تعتبر "العولمة" من أكثر العناوين والمصطلحات استخداما في عصرنا الحاضر، بل أكثر قضايا العصر المثارة على نطاق العالم الواسع. ورغم كثرة ما كتب فيها، لم يتفق الباحثون والمفكرون على تعريف واحد لها، وتعددت مناهج الباحثين في تعريف العولمة، فركز البعض على أحد أبعادها، في حين، حاول البعض أن يعرفها بتعريفات تنسجم مع موقفه منها وتوجهاته من حيث الرفض أو القبول.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن أقرب تعاريف العولمة إلى الدقة هو: "أن العولمة هي دمج ودمقرطة ثقافات العالم، واقتصادياته وبنياته التحتية، من خلال الاستثمارات الدولية، وتنمية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتأثير قوى السوق الحرة على الاقتصاديات المحلية والإقليمية والعالمية"؛ ومنهم من يقول إنها حرية حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية. وهناك من يرى أن العولمة

هي إقحام الجميع في دخول ترس الآلة العالمية بسبب الثـورة الجامحـة للمعلوماتيـة وتطور تقنية الاتصالات، وبذلك يكون مصير الإنسانية موحّدا..[1]

وعندما نذكر مصطلح "العولمة" (Globalization)، أو نسمعه، فإن الـذهن يتجـه فورا إلى الكونية، أي إلى الكون أو العالم الذي نعيش فيه، ومن هنا نـدرك أن المصـطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود السياسية الراهنة للدول إلى آفاق أكثر اتساعا تشـمل العالم بأسره. وهذا يعني تنازل الدولة الوطنية، أو حملها على التنازل، عن حقوق لهـا، لصالح "العالم"، أو بعبارة أدق، لصالح المتحكمين في هذا العالم.

والصيغة الصرفية للفظة "عولمة"، هي "فوعلة"، وقد فرضـتها عـلى اللغـة العربيـة حاجة العصر وما طرأ عليه من مستجدات. وهي تدل على تحويـل الشيء إلى وضـعية أخرى مثل "قولبة" من "قولب"، أي وضع الشيء في صيغة قالب... إلخ. ومن ثم، يكون معنى "العولمة" هو وضع الشيء على مستوى "العالم"..[2]

فعندما نقول مثلا عولمة النظام الاقتصادي، أو عولمـة السياسـة، أو عولمـة الثقافـة، فإننـا نعنـي تحـول كـل منهـا مـن الإطـار القـومي لينـدمج ويتكامـل مـع

---

1 الشـيباني، جـمال نصر الطيـب (2001م)، "العولمـة مفهومهـا، وأسـبابها، وآثارهـا عـلى التجـارة الخارجية للدول العربية"، في: "العولمة وأبعادها الاقتصادية"، تحرير الـدكتور فلـيح حسـن خلـف، المؤتمر الأول، 8-10 جـمادى الأولى 1421هــ / 8-10 آب 2000م، الأردن، جامعـة الزرقـاء، 2001م، ص331

2 إلى الأخلاق – التسامح – الديمقراطية ونظام القيم – الفلسفة والمدينـة، بـيروت، مركـز دراسـات الوحدة العربية،(ص135).الجـابري، محمـد عابـد (1997م)، قضـايا في الفكـر المعـاصر: العولمـة – صراع الحضارات – العودة

النظم الأخرى المثيلة لها في العالم. لقد ظهر مصطلح العولمة أول ما ظهر في مجال المال والتجارة والاقتصاد، غير أنه لم يعد مصطلحا اقتصاديا محضا، فالعولمة الآن يجري الحديث عنها بوصفها نظاما أو نسقا ذا أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد. إنها الآن نظام عالمي، أو يراد لها أن تكون كذلك، يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال... إلخ، كما يشمل أيضا مجال السياسة والفكر والإيديولوجيا. والعولمة هي فرض نمط أو نموذج معين على البشر جميعا؛ بما يعنيه ذلك من القضاء على الخصوصية، والمنافسة، والتنوع، والاختلاف، الذي هو قانون الله النهائي غير القابل للتعديل أو التغيير"..[1]

المبحث الثاني: نشأة العولمة وارتباطها بالإعلام

لقد تعددت الآراء في تحديد التاريخ الدقيق الذي نشأت فيه ظاهرة العولمة، وكذا مراحل تطورها. فيربطها البعض بفترة الكشوف الجغرافية في الغرب، التي تم جزء كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي، ويذهب البعض الآخر إلى تحديد تاريخها بالقرن الثامن عشر، حيث شهدت أوروبا في هذا القرن تطورات إنسانية كثيرة. وعلى أي حال، فإن معظم الآراء تتفق على أن مصطلح "العولمة" قد هبّ على العالم وانتشر انتشارا واسعا وسريعا إثر انتهاء الحرب الباردة واختفاء الاتحاد السوفيتي..[2]

وتجدر الإشارة إلى صعوبة تحديد الوقت الذي بدأت فيه ظاهرة العولمة تأخذ الصورة التي نراها عليه اليوم. ومع ذلك، يمكننا أن نشير إلى عدد من الأحداث الرئيسة التي شهدها العالم، التي حملت للبشرية إرهاصات العولمة.

1 أبو صقر، كامل (2000م)، العولمة التجارية والإدارية والقانونية رؤية إسلامية جديدة، الجزء الأول: النماذج، بيروت، دار ومكتبة الهلال،(ص 51-53).

2 الببلاوي، حازم (1999م)، نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي؟ القاهرة: دار الشروق، (ص 32-33).

وبعيدا عن التتبع التاريخي لظاهرة العولمة، فإنها قد أصبحت، بخيرها وشرها، واقعا ملموسا، نعيشه ونحياه، ويصعب - إن لم يكن مستحيلا - الابتعاد عنه.

يقول الأستاذ حاتم بن عثمان في مقال بعنوان " العولمة فرصة أم رهان:[1]

" ويصبح كل شيء قابلا للاستهلاك بسرعة في كل لحظة وفي كل مكان فتختلط هكذا القيم والمفاهيم وتعوضها شيئا فشيئا قيم جديدة ويتغير الوعي بعاملي الزمان والمكان وتهتز على مر الأيام أركان كل القناعات التي كانت سائدة لدى الشعوب وتسهل عملية المسخ والاستبدال وإعادة التركيب على أسس جديدة وفق ما ترسخ في عقول الأجيال الناشئة من مفاهيم وقيم جديدة تتكرس بالممارسة فتطغى السطحية وأحلام البطولات الوهمية وأوهام الحرية... "

وهنا، علينا التمييز في هذا المستوى بين مجرد الإقرار بوجود العولمة كمشروع وكثقافة تروج لها جهات وأنظمة بعينها وبين الإذعان لهذا المشروع والذوبان فيه لأن الإقرار بوجود العولمة كواقع لا يمنعنا من نقدها أو التصدي لها، أما الإذعان فما هو إلا استسلام ورضوخ لمشيئتها.

وتعني العولمة باختصار شديد (مركزة العالم في حضارة واحدة) أي إعادة إنتاج العالم وفقا لثقافة واحدة هي ثقافة الجهة صاحبة المشروع وهي تعرف (بأنها تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفا واحدا، وظهورا لحالة إنسانية عالمية واحدة)..[2]

---

1 (المجلة التونسية لرقابة التصرف – العدد 14 – ص. 109)

2 "ظاهرة العولمة، د. بركات محمد مراد، كتاب الأمة 2002"

وكان مصطلح العولمة قد أعلنه الرئيس الامـريكي بـوش الأب أثنـاء حـرب الخلـيج الثانية 1991 وأداته الرئيسة منظمة التجارة العالمية W.T.O التـي أنشـئت في كـانون الثاني 1995 ولا تقتصر مهمتها على مبدإ حرية التجارة بل أضيف إلى برامجهـا الحريـة الثقافية أي حرية الإنسان في أي مكان في تعاطي ما يريده ويرغبه مـن ألـوان الثقافـة دون حظر رقابي من حكومته. والهدف تحويـل العـالم كلـه إلى النمـوذج الأمـيركي دون إحساس بالدونية "[1].

وهـذه التعـاريف و،الشروح تبـين لنـا بجـلاء أن العولمـة مرادفـة لمفهـوم الهيمنـة "ظاهرة العولمة، التي يمكن تفسيرها مع تفرد النظـام الرأسـمالي كقـوة جبـارة بقيـادة العالم مصحوبا بثورة علمية تكنولوجية ومعلوماتية واتصالية مصـدرها تلـك القـوة الى حد كبير، بأنها هيمنة أميركا على وسائط نقل المعرفة وسـعيها لتنمـيط العـالم سياسـيا واقتصاديا وثقافيا من أجل إحكام الهيمنة "[2].

ويأتي الإعلام ليلعب في ظل العولمة دوره الأكبر في تنفيذ خطط وبـرامج العولمـة في جميع تلك المجالات، وعلى سبيل المثال، فـإن شـبكة C.N.N الأمريكيـة (وهـي نظـام إعلامي أمريكي متكامل) نصّبت من نفسها قيّما عـلى صـياغة الأحـداث في العـالم، فـلا يستطيع جهاز إعلامي في أي دولة- أو ليس بمقـدور متتبـع للقضـايا العالميـة- التحـرك دون ترتيب السي إن إن للأحداث، كما تبين مـن الـدور الـذي لعبتـه في حـربي الخلـيج الأولى والثانية..[3]

وعودة إلى أرقـام احتكـار وسـائل الإعـلام وصـناعة المعلومـات ومواقـع الإنترنت لتؤكـد عـلى مـدى الهيمنـة الإعلاميـة الكاسـحة للغـرب، وخاصـة أمريكا، وبالتالي، على نشر برامج العولمة في المجالات الثقافيـة والاجتماعيـة

---

1 الحرب الباردة الثقافية، فرانسيس ستونر سوندرز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002".

2 المرجع السابق نفسه ص 115".

3 الإعلام العربي وتحديات العولمة، د. تركي صقر، وزارة الثقافة، سوريا 1998".

والقيمية لإخراج ثقافة جماهيرية (عالمية) واحدة بقوالب محددة مسبقة الصنع كما يظهر عبر انتشار وتسلط المحطات الفضائية مما ستؤثر معه على منظومة القيم الخاصة، وتصبح معه نمطا جديدا من الغزو الفكري الثقافي وخاصة ما يتعلق منها بقيم الاستهلاك.

وفي ظل العولمة ودور الإعلام الكاسح فيها، تظهر عدة مواقف إزاءها، منها: التسليم بها كقدر محتوم أو الرفض التام لكافة معطياتها وآخرها الموقف الوسط الذي يدعو إلى التمسك بالهوية مع التطوير والتغيير بما يتماشى مع الخصوصية الحضارية والتراث والقيم الدينية دون اندماج مطلق وتابع للدول المهيمنة، أي النظر إليها بموضوعية والإفادة من معطياتها الإيجابية".[1]

"فيجب ألاّ يحول الصراع القديم بين الشرق والغرب دون النظر إلى العولمة من خلال معايير موضوعية وصحيحة حتى نتمكن من أن نعرف وننكر بعيدا عن الأحكام العامة والعامية التي لن تمكننا من التعامل معها بمهارة "[2].

وبناء على كل هذا، فإن التحديات الحقيقية التي تواجهنا تتعلق أكثر بمعادلة غير متكافئة لشعوب قد قطعت أشواطا في اتجاه التطور حتى وصلت إلى طابع العالمية، مما يجعل هذه التحديات تقرأ على جميع مستويات التفاوت الاقتصادي، الثقافي، السياسي والحضاري، "ولذلك فإن التحدي الذي يطلقه مشروع العولمة والكوكبة ليس منحصرا في البعد الثقافي، وإنما يتعدى ذلك ويصل إلى كل المستويات ومقصودنا بالثقافة الوطنية التي تواجه هذه التحديات هو جملة القيم والمعايير والممارسات كلها التي تصنعها الأمم المغلوبة حضاريا، في إطار السعي للخروج من حالة الارتهان الحضاري والحفاظ على ذاتها الثقافية وخصوصياتها العقدية والنفسية... والثقافة التي

---

1 الإعلام العربي وتحديات العولمة، د.تركي صقر، سوريا 1998

2 مظاهرة العولمة، د. بركات محمد مراد، كتاب الأمة، قطر، 2002"

تضخها مؤسسات الغرب في هذا الاتجاه لا تؤهل أصحاب الوطنية لرؤية العالم بشكل موضوعي، وإنما هي ثقافة تعمق مسار الاغتراب في حياتهم الخاصة والعامة. ومن خلال تداعيات هذا الاغتراب، ينغرس الشعور الوهمي بأن الثقافة التي ينتجها الغرب هي ثقافة الكون كله".

وهذا الاغتراب إنما هو انعكاس لسياسات تسعى إلى بسط السيطرة والنفوذ الغربي ولكن دون اللجوء إلى الفعل الاستعماري العسكري، لأن الأدوات الاستعمارية في عصر العولمة أصبحت تتسم بالرقة والجاذبية، لأنها تخاطب العقول والوجدان، ولذلك فهي تجذب انتباه الآخر من دون أن يقرر هو نفسه ذلك!!

وهنا يتضح الدور المنتظر من الأسرة من خلال أهمية "إعادة الاعتبار إلى عناصر الثقافة الوطنية والعمل على تنشيطها في النسيج المجتمعي، لأن بقاء عناصر الثقافة الوطنية ساكنة يعني تحول بعضها إلى فولكلور محلي، نشجع به السياحة ونحنطه في متاحف وأماكن أثرية لا غير".

المبحث الثالث: بين العالمية والعولمة

يبالغ البعض عندما يذهب إلى اعتبار أن العولمة فرعونية الطابع، وأن المصريين القدماء هم أول من تبنى فكرة العولمة[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن المراحل الأولى لهذه الظاهرة قد غلبت عليها صفة العالمية، في حين إن مراحلها الأخيرة قد برزت فيها سمات العولمة. فحضارات الصين والهند ومصر القديمة، والحضارة الإسلامية، وحضارة اليونان والرومان، لم تشهد زمن العولمة بمفهومها الذي نعرفه اليوم، وإنما نستطيع أن نضع كل فترة عاشتها هذه الحضارات، ضمن مرحلة من مراحل

---

1 الخضيري، محسن أحمد (2001م)، العولمة الاجتياحية، القاهرة، الناشر مجموعة النيل العربية، (ص 61).

العالمية. ويجدر بنا التمييز بين العولمة والعالمية، وهما اصطلاحان كثيرا ما يثور الخلط بينهما، رغم أن لكل منهما مفهوما يغاير تماما مفهوم الآخر.

فالعولمة (GLOBALIZATION) هي السيطرة والهيمنة على العالم، وهي نفي للآخر، وقمع وإقصاء للخصوصية، وإذابة لكل خصائص المجتمعات، إلى درجة لا يكون فيها لأي مجتمع ثقافة ذاتية، أو هوية شخصية أو قومية. لقد بدأت العولمة بالجانب الاقتصادي، وعنت الاندماج الكامل لمختلف دول العالم عبر نموذج يستعمل السوق والتجارة والمال والتقنية والغزو الإعلامي لفرض زعامة أصحابه وهيمنتهم.

أما العالمية (UNIVERSALITY)، فهي تفتح على ما هو عالمي وكوني، أو الانفتاح على العالم شرقا وغربا، والاحتكاك بالثقافات الأخرى أخذا وعطاء، وهي الاحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي، وهي عملية تفاعل تبادلي بين الجزء والكل، تحكمها قيم إنسانية، وتتم وفق سنن تفاعل الحضارات، فهي تعارف وتعاون وعمران.

لقد عرف العالم الاتجاه إلى العالمية في مراحل مبكرة. فكانت "العالمية" من أبرز سمات الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها، ثم حدث في مطلع القرن السابع عشر الميلادي أن وقع تحوّل في شمال غرب أوربا في نظام التجارة العالمية برز فيه عنصر "الفرض"، وتلك هي جذور "العولمة" التي وظفت تقنية الانقلاب الميكانيكي ثم الانقلاب الصناعي.[1]

1 الدجاني، أحمد صدقي (2002م)، العالم الذي نريد تحوّل من عولمة إلى عالمية، في: "أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتّب على العولمة؟"، سلسلة "الدورات"، الدورة الخريفية لسنة 2001م، 2-4 صفر 1422هـ / 12-14 نوفمبر 2001م، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (ص 126).

وتطرح العالمية أفكارا إنسانية تنتقل بالتبادل بين الثقافات عندما يحدث الاحتكاك والتداخل أو الامتزاج، في حين تسعى العولمة إلى سلب الخصم إرادته وهويته، فهي هيمنة وإرادة لاختراق "الآخر" وسلبه خصوصيته، وبالتالي نفيه من "العالم". إن العالمية هي إغناء للهوية الثقافية، أما العولمة فهي اختراق لها وتمييع.[1]

وما نودّ أن نخلص إليه من هذه الوقفة أمام مصطلحي "العولمة" و"العالمية" هو إبراز عنصر "الفرض" بهدف الهيمنة في "العولمة"، وغياب القيم الإنسانية وتوظيف الثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين، في حين نجد قوى "العالمية" تدعو إلى التركيز على القيم الإنسانية التي تنادي بالمساواة والعدل واحترام الحريات وصون الخصوصيات، وتوظّف ثورة العلم التقني فيما تدعو إليه.

مما لا شكّ فيه أن العولمة ليست خيرا أو شرا دائما، فلها إيجابياتها في مجالات، وسلبياتها في مجالات أخرى. فالعولمة في صورتها الإيجابية تعني التطور الهائل الذي عرفه العالم في مجال تطوير التكنولوجيا ووسائل الإعلام والاتصال، وما نتج عن ذلك من تقريب المسافات بين أجزاء المعمورة، وإشاعة المعرفة.[2]

1الجابري، 1998م، (ص 301). وفي ظل العولمة لا تكون لسيادة الدول نفس الأهمية التي تتمتع بها في ظل "العالمية".

2بو طالب، عبد الهادي (2002م)، في نقد العولمة وآثارها السلبية على الدول المتنامية: أعولمة أم شوملة أم أمركة، في "أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتّب على العولمة؟"، سلسلة "الدورات"، الدورة الخريفية لسنة 2001م، 2-4 صفر 1422هـ / 12-14 نوفمبر 2001م، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، (ص37-38)،

والتعاون المثمر بين الأمم والشعوب، وتخفيف الحواجز والعوائق التي تعيق الاتصال الحر والمباشر بين الأفراد والهيئات والجماعات.

ويبدو أن هذا المعنى الإيجابي للعولمة كان ماثلا فيها في مراحلها المبكرة، ثم أخذ في التحول إثر انهيار الاتحاد السوفيتي، وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد. فمنذ ذلك الحين، طرأ تطور سلبي على مفهوم التعاون الدولي، وبعد أن كان المفهوم العام للتعاون الدولي قائما على مبادئ التعددية السياسية والثقافية لأمم العالم وشعوبه، وكانت مبادئ السيادة القومية والاستقلال الوطني للشعوب من المحرمات التي لا يمكن المساس بها، بشر هذا النظام العالمي الجديد بمبادئ جديدة، يرى البعض فيها انحرافا عن المبادئ الإنسانية العادلة والعالمية المنحى. ويرى المناهضون للعولمة، في هذه المبادئ الجديدة السالبة، تهديدا خطيرا على كيان الدول في العالم الثالث الذي يضم في دائرته الدول العربية والإسلامية التي ورثت الحضارة الإسلامية القائمة على أسس روحية ومبادئ إنسانية راقية، منها المساواة بين الناس ورفض التفرقة على أساس الدين أو العرق أو اللون.[1]

لقد أثارت العولمة الكثير من المواقف والآراء، ما بين التأييد والرفض؛ ويمكننا وضع أصحاب هذه الآراء والمواقف، في ثلاثة فرق، هي:

1. فريق أدرك مدى ما للعولمة من أهمية، فرأى ضرورة الإسراع بالانخراط فيها، والدخول في منظومتها، والاستفادة من الفرص المتاحة فيها، والأخذ بما تحمله من إيجابيات.

2. فريق سيطرت عليه الهواجس والمخاوف، فاستشعر الخطر القادم من العولمة، ومن ثم، رأى وجوب مقاومتها لما فيها من آثار سلبية.

1 إمام، زكريا بشير (2000م)، في مواجهة العولمة، عمان الأردن، الناشر: روائع مجدلاوي، (ص 184-187).

3. فريق تتناقض أقواله مع أفعاله، فيهاجم ظاهرة العولمة فكرا، في حين يمارسها سلوكا، ويستخدم أدواتها فعليا، فيركب السيارة المستوردة، ويلبس الملابس المستوردة، ويستخدم الأطباق اللاقطة للقنوات الفضائية في بيته، ووسائل الاتصالات بالأقمار الصناعية وغيرها، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وبطاقات الائتمان والصرف الدولية.. الخ [1].

وبين هذا وذاك، يظل الإنسان يدفع أثمان التغير الاجتماعي وإرهاصاته في كل زمان وحين!

المبحث الرابع: أبعاد ظاهرة العولمة

1- العولمة الثقافية:

العولمة الثقافية هي أصل العولمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، لأن الثقافة هي التي تهيئ الأذهان والنفوس لقبول تلك الأنواع الأخرى، وتجعل الناس مستعدين للانضمام إلى الأنظمة والمؤسسات والاتفاقيات الدولية. وتعتبر الثقافة عنصرا أساسيا في حياة كل فرد وكل مجتمع وكل أمة، وهي تشمل التقاليد والمعتقدات والقيم وأنماط الحياة المختلفة والفنون والآداب وحقوق الإنسان.[2]

إنها الهوية المعبّرة عن الشعور بالانتماء لدى أفراد كيان اجتماعي معين، التي تشعر أصحابها بخصوصيتهم، ورصيدهم المختزن من الخبرات المعرفية والأنماط السلوكية.

---

1 (الخضيري، مرجع سابق، ص 67-71).

2 الجابري، محمد عابد (1998م)، "العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات"، في: "العرب والعولمة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت 1997م)، تحرير أسامة أمين الخولي، ط2، بيروت، (ص 297-298).

وللعولمة الثقافية وسائلها ومضامينها؛ فوسائلها هي هذه الآلات والأدوات والأجهزة التكنولوجية والإلكترونية، أما مضامينها ومحتواها فهي هذه البرامج الفكرية، والتصورات الأدبية والفنية، والمذاهب والنظريات النقدية، والآراء العقائدية (الإيديولوجية)، ووجهات النظر السياسية، ونمط الحياة والتقاليد الاجتماعية في الملبس والمأكل والمشرب، والبرامج التمثيلية والغنائية والموسيقية، وما شابه ذلك.[1]

ومن هنا، نجد أن العولمة ليست نظاما اقتصاديا وحسب، بل ترتبط ارتباطا عضويا مع وسائل الاتصال الحديثة التي تنشر فكرا معينا، و"ثقافة" معينة، يمكن أن نطلق عليها اسم "ثقافة الاختراق".[2]

لقد لعبت ثورة الاتصالات دورا أساسيا في إحداث هذا التأثير الثقافي؛ فبدلا من الحدود الثقافية، الوطنية والقومية، تطرح إيديولوجيا العولمة "حدودا" أخرى، غير مرئية، ترسمها الشبكات العالمية، كالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) والقنوات الفضائية، بغرض الهيمنة على الأذواق والفكر والسلوك. وقد أدى استخدام القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، إلى تقلص دور الكلمة المكتوبة لحساب الصورة المرئية، ولهذا الأمر أهميته البالغة، لأن الكتاب مثلا كان يخاطب النخبة في حين يتسع جمهور الصورة ليشمل مختلف شرائح المجتمع، ولأن الكتاب كان يتوقف أحيانا عند حدود الدول، وقد لا

1الأسد، ناصر الدين (2002م)، "آثار العولمة على البلدان المتنامية في المجالين الثقافي والتواصلي"، في: "أي مستقبل للبلدان المتنامية في ضوء التحولات التي تترتّب على العولمة؟"، سلسلة "الدورات"، الدورة الخريفية لسنة 2001م، 2-4 صفر 1422هـ / 12-14 نوفمبر 2001م، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الأسد، (ص 111-114).

2 (الجابري، 1997م، مرجع سابق، ص 143).

يسمح له بالدخول إليها، في حين تتخطى الصورة التي يحملها الأثير جميع الحدود السياسية والحواجز الجمركية.[1]

وما يقال عن الكتاب، يقال أيضا عن الصحف والمجلات وغيرها من المواد المكتوبة.

إن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة في المجال الثقافي، هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم. فقد أصبحت الموسيقى والبرامج التليفزيونية والمسلسلات والأفلام السينمائية الأمريكية، منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة والمشروبات وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع. وفضلا عن ذلك، صارت اللغة الإنجليزية لغة عالمية، بل وانتشرت اللهجة الأمريكية، على وجه الخصوص، انتشارا واسعا. ومن أسباب هذا النفوذ الثقافي الواسع: سيطرة الاقتصاد الأمريكي بوصفه سوقا مستوردة ومصدرة، وهيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي، ولما للولايات المتحدة من تفوق واضح على منافسيها الاقتصاديين في المجالات الثقافية الشعبية، وعلى الأخص في صناعتي السينما والموسيقى.[2]

1إبراهيم، فتحية محمد أحمد (2003م)، "أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثروبولوجية"، في: مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 15، الآداب (1)، الرياض، النشر العلمي بجامعة الملك سعود، إبراهيم، (ص 122).

2 سالم، بول (1998م)، "الولايات المتحدة والعولمة: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين"، في: "العرب والعولمة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت 1997م)، تحرير أسامة أمين الخولي، ط2، بيروت، (ص 220)

ويبدو أن الولايات المتحدة تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، معرضة مقومات الهوية الثقافية للمجتمعات الأخرى إلى خطر الذوبان، وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد أن الثقافة الكونية المعولمة ليست إلا نتاجا لثقافة مهيمنةٍ هي ثقافة الغرب وتحديدا الولايات المتحدة الأمريكية وليست نتاجا لتفاعل الثقافات الأخرى وتضافرها وتناظرها.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية الأخذ والاقتباس من "الآخر" لا يمكن أن تفرز لنا كيانا متطابقا تمام التطابق مع هذا "الآخر". فعلى الرغم من هذا الاحتكاك الذي يحدث بين المجتمعات الأوروبية، نجد أن طبيعة المجتمع البريطاني مثلا تختلف عن الفرنسي، وكلاهما يختلفان عن الإيطالي، سواء في النظام السياسي أم الاقتصادي أم السلوك الاجتماعي أم في الفكر والثقافة. ويظهر هذا الاختلاف بوضوح أكبر عندما نقارن بين الولايات المتحدة واليابان، فرغم اعتناقهما لنفس النظام الاقتصادي والسياسي، ومع غلبة مظاهر المجتمع الصناعي الحديث في كل منهما، فإن شكل الحياة وقيم المجتمع في اليابان ليست متطابقة مع تلك السائدة في الولايات المتحدة[1].

ويرى البعض أنه لا يوجد دليل على أن العولمة بالضرورة تهدف إلى محو الهويات الثقافية المتعددة، ذلك لأن العولمة ليست في حاجة إلى فرض نظام ثقافي موحد على مستوى العالم، وأنه من المستحيل محو التعدد الثقافي في العالم مهما خطّط المخطِّطون.[2]

1 الببلاوي، مرجع سابق، (ص 45-46).

2 يسين، السيد (1998م)، "في مفهوم العولمة"، في: "العرب والعولمة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت 1997م)، تحرير أسامة أمين الخولي، ط2، بيروت،،ص 109.

إن الخوف من "الغزو الثقافي الأمريكي" لم يقتصر على دول العالم الثالث التي توصف بأنها بلاد "نامية" أو "متنامية"، بل وجدناه يسيطر على دول كاليونان وفرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى. وإذا كان هذا هو موقف هذه الدول من العولمة، وهي دول تنتمي إلى نفس الحضارة التي تنتمي إليها الولايات المتحدة الأمريكية، فكيف تكون الحال مع شعوب العالم الثالث التي تختلف عن هذه الدول الغربية في الجوهر والكيان، وقد تصل ثقافاتها معها إلى حد التناقض؟

ومن اللافت للنظر أن دول الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، التي تنادي بالديمقراطية والتعددية، والرأي الآخر، وحرية العقيدة والتعبير، تصادر في نفس الوقت كلّ ذلك وتلغيه حين تحاول أن تفرض على غيرها نمطا واحدا من ثقافة واحدة، هي ثقافتها التي ترى أنها الوحيدة الصالحة للعالم، وبذلك تدمّر الخصوصيات الثقافية للشعوب الأخرى وتفرض عليها ما يخالف عقيدتها ويسلبها هويتها. ففي وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثلا، نجد الكثير من البنود التي تصادر الرأي الآخر، وفيها إهدار لحقّ الشعوب في أن تعيش وفق ثقافتها وعقيدتها، مما جعل البعض يرى فيها تعميما لفكر غربي، وفرضا للثقافة الغربية. ومن هذه الوثيقة وغيرها من الوثائق والاتفاقيات والمعاهدات، ندرك أن الديمقراطية الغربية تتناقض مع نفسها أحيانا، وتتنكّر لدعوتها، حين لا تسمح بالتعددية والرأي الآخر وحرية العقيدة، وعندما تفرض وجهة نظر واحدة من ثقافة واحدة.[1]

ويتضح بناء على هذا أن ثقافتنا مستهدفة بشكل أو بآخر، حينما يكون من بين مهام العولمة صناعة العقول الجاهزة التي لا تتقن الا التلقي وبالتالي تقبل العيش والفناء في حلقة الاستهلاك.

1 الأسد، مرجع سابق، (ص 116-117).

2- العولمة الاجتماعية والأسرة:

يعدّ موضوع العولمة الاجتماعية أحد المواضيع الهامة التي شغلت أذهان الكثير من الباحثين المتخصصين في حقل العلوم الاجتماعية، لاسيما علم الاجتماع الذي يهتم بتفسير طبيعة التغييرات، وأنماط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الواحد.

لا نستطيع أن ننكر التقدم التكنولوجي الذي أحدثته العولمة في القرن الحادي والعشرين، وما شهده العالم من تطوراتٍ هائلة في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات التي أصبح معها العالم أشبه بقرية صغيرة، لكننا في المقابل لا نستطيع أن ننكر الإشكالات التي أحدثتها العولمة الاجتماعية، التي جعلت الأسر العربية، أمام امتحانٍ صعب وكبير في كيفية تربية أبنائهم التربية الصحيحة التي تحصنهم من الانزلاق في مغريات ما يعرض، وما يسمع، وذلك من خلال تقوية الوازع الديني لديهم، وتعريفهم الصحيح من الخطإ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار قوة التكنولوجيا والإعلام المرادف لها في البيئة العربية والإسلامية، التي لعبت مع بدايات القرن الحادي والعشرين دورا رئيسا في عملية التوجيه للأبناء كبديل رئيس عن عملية التنشئة الاجتماعية التي تعد العنصر الهام والرئيس في بناء شخصية الطفل وتوجيهه الوجهة السليمة.

لقد أدرك الغرب أهمية الجانب الاجتماعي للعولمة عبر تبنيهم استرتيجيات أكثر شمولية وتأثيرا، ألا وهي إخضاع النفوس بالتعليم والثقافة.

لعل «زبغينو بريجنسكي»، مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق لشؤون الأمن القومي من أوائل الذين دعوا إلى تبني استراتيجية الإعلام؛ لفرض التأثير، ونشر القيم الأمريكية منذ عام 1979؛ فقد كتب معلقا في ذلك العام

على أطروحات الزعيم الإيراني الراحل «الخميني» عندما حاول الأخير اعتماد القطيعة مع الغرب، وبناء جدار متين؛ يحصن المواطن الإيراني من الغزو الثقافي الغربي قائلا: «فليحاول الخميني ذلك، ولكن ليعلم أن التكنولوجيا الأمريكية سيكون بمقدروها في غضون سنوات عديدة، إقامة جامعة أمريكية لتعليم وتدريس الطلاب الإيرانيين وهم في بيوتهم في أصفهان وطهران وقم، من دون أن يكون هناك حاجة إلى إرسال مدرسين أو حضورهم إلى أمريكا، ولن تستطيع السلطة الإيرانية التأثير في هذه العملية».

وتأسيسا على ما سبق، فإن العولمة الاجتماعية هي نتاج لفرض معادلةٍ جديدة مفادها أن الغرب قادر على تنميط المجتمعات العربية، تحت أساليب، وحجج وذرائع وهمية؛ يراد منها تحسين واقعهم المعيش والانتقال بهم من التخلف إلى الحضارة، ومن البداوة إلى التحضر، تحت شعارات الحرية والتحرر والاختلاط والإباحية المطلقة، والتصور الخاطئ لمفهوم المرأة، وإطلاق العنان للشهوات دون أيّ قيود أو حدودٍ من شأنها أن تخلق واقعا جديدا مغايرا للواقع العربيّ المحافظ الذي اعتاد عليه أبناؤه منذ سنوات مضت.

لا ننكر الدور الإيجابي للعولمة، وما أحدثته من تغييرات إيجابية في البيئة العربية، لكن في المقابل أثرت سلبا على الأسرة العربية، بل أحدثت خللا في منظومة القيم الأسرية؛ نتيجة للفهم الخاطئ من قبل الأسر العربية، التي ربما اعتادت على نمطية وصيغة كانت تحتفظ بها سابقا. ومع مجيء العولمة، وما تبعها من تحولاتٍ مفاهيمية، كالحرية، والتحرر، والانفلات، والخصوصية التي تحكمها في الغالب حالة أشبه بالانغلاق المحكم على الذات، لابد أن يؤثر سلبا على طبيعة العلاقات الأسرية التي اعتادت على صيغٍ مترابطة من الوئام، والمحبة والترابط والتكافل والتعاون، هذا فضلا عن ثقافة الاحترام، والفهم الصحيح للحرية، المنطلق من مبادئ الوعي والإدراك، إلى بناء مجتمع متكامل مترابط يمتلك القواسم المشتركة؛ لإعادة بناء ذاته على قاعدة التكيف

والتغيير الاجتماعي الإيجابي البناء بدلا من استيراد نماذج اجتماعية مستوحاة من الغرب، لا نحسن استيعابها والتعامل معها، بل ولا تصلح لنا!

ولعل أهم الآثار الناجمة للعولمة الاجتماعية على القيم الأسرية تكمن في الآتي:

ا- العلاقة بين الأسرة والأبناء

استطاعت العولمة الاتصالية كسر الحواجز الاجتماعية بين الأسر العربية، وانتفت معها روابط تبعية الابن لأسرته، بل لعائلته، بل أصبح تابعا دون قيدٍ أو شرطٍ لعالمٍ آخر، ألا وهو عالم الإنترنت والعولمة، يقضي وقته الطويل بعيدا عن أسرته، بل قد يلجأ في غالبية الأحيان إلى بناء علاقات وروابط اجتماعية مع العالم الآخر، ويلجأ إليهم لحل مشكلاته. وتبني جسورا من بناء الثقة والذات فيما بينهم، لكن المهم هنا العملية التأثيرية للعولمة على الجانب الاجتماعي للأبناء، إذ بات الأبناء يقضون أوقاتهم الطويلة على الإنترنت، دون أن يستشعروا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، بل أصبح الابن حبيسا لغرفته ساعاتٍ طوالا، دون الخروج والتحدث مع الأهل، وكذلك البنت فقد أصبح لها عالمها الخاص الذي تفكر فيه، وتعتقد بأنه وجب عليها بناء شخصيتها، وذاتيتها تحت شعار الخصوصية والحرية التي أصبحت منطق العصر الحديث.

لكن الأهم من ذلك للأسف المرأة العربية التي اعتادت سابقا على نمط معين من العلاقات الاجتماعية في إطار المحافظة، وضمن العادات والتقاليد، بل اليوم في إطار العولمة الاجتماعية، لم نر ونلحظ الزوجة المثالية قدر الإمكان، بل أصبحت المرأة العربية أكثر تحضرا من النساء الغربيات، ومواكبة لكل إصدارات العصر، وهذا من شأنه أن يؤثر سلبا على نمطية العلاقة بين أبناء الأسرة الواحدة.

بناء على التردد الواضح، الذي نلاحظه في فهم منظومة القيم الأخلاقية، وغياب الوازع الديني، بل انتفائه من قواميس بعض الأسر تحت شعار الحرية والتحرر والانفتاح اللامحدود بعيدا عن المحافظة، فكان لابد من مراجعة للذات، وتقييمها أولا بأول خشية انزلاقها إلى العالم السفلي.

ب- تراجع القدرة على ممارسة الضبط الاجتماعي في الأسرة:

كانت الأسرة في سنوات ماضية منفردة بعملية التربية والتأثير إلى درجة كبيرة من التحكم والتميز في فرض الأحكام والتوجيهات، ولعل منظومة الضبط الاجتماعي التي عرفت بها سهلت عليها إتمام مهام كثيرة وفرض أعرافها وقوانينها الاجتماعية التي لم يكن ليتجرأ الكثير على القفز عليها بسبب عملية القهر الاجتماعي الذي يحدث تلقائيا بالنسبة لكل من يخرج عن السياق. الشيء الذي حرس منظومة القيم وساعد بجدية في ممارسة التنشئة الاجتماعية.

ولكن، لم تعد الأسرة اليوم في ظل العولمة الاجتماعية قادرة على فرض سلطتها الذاتية داخل الأسرة؛ نتيجة لتعرض الأبناء لمؤثرات خارجية، أفقدتهم في غالبية الأحيان صفة الاحترام المتبادل بينهم وبين عائلاتهم، حيث إن تعرض عقولهم للبرمجة الاتصالية خاصة، من قبل وسائل الإعلام والإنترنت وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، أفقدتهم ثقافة الحس والشعور باحترام الآباء والأمهات، فلم يعدّ الابن يقدرّ كلمة أبيه، وكذلك البنت، لم تعدّ تفرض حسابا لوالديها، وهنا لا أعممّ وأفرض نموذجا مبالغا فيه، بل كلنا نسمع ونرى ونلحظ كم حجم المشكلات الاجتماعية، والتفتت الأسري، والاضطرابات والمشكلات الاجتماعية، التي في غالبها تعود إلى جذور متعلقة بالأبوين كليهما، ولعدم قدرتهما في ذات الوقت على صياغة نموذجٍ أسري أكثر واقعية في احترام بعضهما البعض. هذا، فضلا عن تراجع كثير من القيم المؤثرة بسبب التغير الاجتماعي السريع في زمن العولمة.

ج-الاغتراب عن الموروث الثقافي:

لقد استحدثت العولمة نمطية جديدة في التفكير، تغيرت من خلالها الرؤى التي كانت تبدو إلى عهد قريب مشتركة بين أغلبية الناس مشكلة ضميرا جمعيا يخضع له الجميع وتلقى أحكامه اعتبارا عند جمهور الأفراد في المجتمع. وعليه، فقد أفرزت أطروحة الإنسان الكوكبي بعدا عالميا غير مجرى التاريخ وصنع نماذج في التفكير والسلوك تمخض عنها حالة من الاغتراب عن الآخر وعن الذات يعيشها كل من لم ينسلخ بعد عن ذاته الاجتماعية والثقافية، مما أشاع حالة أخرى من اللا ثبات لا يزال يتخبط فيها المجتمع الآن...

ولأن سلامة أيّ مجتمعٍ من المجتمعات يكمن في مدى قدرته على الحفاظ على موروثه الثقافي والاجتماعي والتكيف معه في إطار التغيير الإيجابي البنّاء، حتى يضمن ديمومته وتمسك أبنائه به، فإن استيراد الثقافات الاجتماعية وإحلالها بنماذج دخيلة، دون فهمها، واستيعابها يضمن بلا أدنى شك عنصر التغريب لتلك المجتمعات، مما يجعلها أقرب إلى فقدان هويتها الاجتماعية والأسرية، التي تربت ونشأت عليها، ويجعلها عرضة لأي استيراد خارجي، مما يجعلها أمما مستهلكة يفقد معها الانتماء، والأخلاق، والفهم الصحيح والسوي لذاتها قبل كل شيء، ويبعدها عن فلسفتها ورسالتها الدينية والإنسانية التي خلقت من أجلها.

3- عولمة التربية:

عند إصداره لكتابه " نهاية التاريخ والإنسان الأخير " سنة 1992[1] لم يكن " فرنسيس فوكوياما "، المفكر الأمريكي ذو الأصل الياباني بمعزل عن تيار

1 Fukuyame , Francis: (La fin de l'histoire et le dernier homme) Paris , Flammarion , 1992

كامل أخذ على عاتقه مهمة التبشير لما اصطلح على تسمية اليوم " بالعولمة " [1] La globalisation La mondialisation.

ورغم أن " فوكوياما " لم يشأ ذكر العولمة بالاسم، إلا أنه لخص جوهرها القائم على تمجيد النموذج الليبرالي – وخاصة الأمريكي منه – ونظر لفكرة المواطن النموذجي (الإنسان الأخير) الذي سينعم على حد تعبيره في ظل الديمقراطية الغربية الرأسمالية بالرخاء المادي والمعنوي.

ومنذ ذلك الحين، توالت الكتابات الباحثة في ماهية العولمة وأبعادها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على الأفراد كما على المجتمعات والأنظمة. وقد تعددت محاولات تعريف العولمة وخاصة خلال العقد الأخير من القرن الماضي دون الوصول في نهاية المطاف إلى مفهوم جامع ومتفق عليه، ولعل ذلك لا يرجع فقط إلى تعقد هذه الظاهرة وارتباطها بأكثر من مجال بل كذلك إلى الخلفيات الفكرية والإيديولوجية لمن اهتم بدراستها.[2]

وعموما، أصبحنا نسمع اليوم عن أشكال عديدة ومتعددة للعولمة كالعولمة الاقتصادية والعولمة السياسية والعولمة الثقافية والإعلامية والاجتماعية وصولا إلى عولمة التربية والتعليم. فما المقصود بعولمة التربية؟

---

1 من أشهر المنظرين لهذا التيار والمدافعين عنه نذكر: " توماس فريدمان " صاحب كتاب السيارة ليكساس وشجرة الزيتون: نحو فهم للعولمة وسمويل هانتينغتون صاحب كتاب صراع الحضارات

2إذ هناك من الكتاب والمفكرين من مجدوا العولمة وبشروا بها بأسلوب دعائي فاضح كـ "فوكوياما " و" فريدمان " وهناك من انتقدها واعتبرها فخا واعتداء صارخا على الديمقراطية وحقوق الإنسان كـ "هانس بيتر مارتن" و"هارالد شومان " كما توجد موجة ثالثة حاولت إثارة جدل موضوعي حولها دون انحياز واضح ولا رفض قاطع كـ " بول كندي " (صعود القوى العظمى وسقوطها) و" ألفين توفلر " (الموجة الثالثة) و" ميشيل تشوسودوفسكي" (عولمة الفقر).

يجمع أغلب الخبراء في هذا المجال على أن المقصود بعولمة التربية هو محاولة اختراق المنظومة التربوية للدول بغاية التأثير عليها وعلى برامجها وتوجيه أنسقتها وغائياتها بما يخدم مصالح دول بعينها. وقد كثر الحديث عن "عولمة التربية "في بداية الألفية الجديدة التي شهدت نزوع عدد من الدول نحو تعديل برامجها التعليمية في إطار منظومة وصفت بالإصلاحية[1] [4].

ومهما تكن وجاهة الأسباب والدوافع التي حركت هذه الأنظمة، فإن الحديث عن ضغوط خارجية تقف وراءها، بات من الأمور المسلم بها عند الكثير، وخاصة منهم معارضي تيار العولمة. ولعل ما عمق هذا الاعتقاد ورسخه هو الكم الكبير من المفاهيم والمصطلحات التي أدرجت مؤخرا في مجال التربية والتعليم من قبيل الحرفية والاحتراف والتأهيل والتكوين والمهنية والتمهين والجودة والتجويد وتحسين المردودية ورفع الأداء والكفاءة والكفاية والنجاعة والجدوى وتبادل المعلومات وإنتاج المعرفة وتحرير المبادرة...

والأكيد، أن لهذه المصطلحات خلفية اقتصادية واضحة وهي مشحونة بقيم السوق وتنم بذلك عن توجهات جديدة في هذا القطاع ليست بمعزل عما يدور من حولنا من تحولات.

1 على سبيل المثال ورد بالخطة التنفيذية لمدرسة الغد الصادرة عن وزارة التربية التونسية في شهر جوان 2002 ما يلي: " ومع نهاية القرن العشرين وما تقتضيه تحديات العولمة من تأهيل شامل للعقليات وللمؤسسات ولوسائل الإنتاج، تجدد الاهتمام بالمدرسة وبرسالتها وفق شروط المرحلة الجديدة.. " (نحو مجتمع المعرفة: الإصلاح التربوي الجديد. ص 14/13).

وتحت شعار الحرية والليبرالية، وقع ضرب الفضيلة والقيم الروحية لتصبح الجريمة والدعارة وتجارة المخدرات والأسلحة أنشطة اقتصادية مثل غيرها من الأنشطة الأخرى وإن كانت القوانين والنصوص تجرمها.[1]

في الحقيقة، هناك من يتحدث عن تأثيرات جوهرية وعميقة ستؤثر سلبا على المنظومة التربوية ككل، باعتبار أن أهم ما تطمح إلى تحقيقه العولمة في هذا المجال بالتحديد هو:

- ضرب الأنظمة التربوية في العمق وتكريس أنظمة جديدة تخدم الخيارات الاقتصادية للغرب وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية.[2]

- استهداف الثوابت والقيم الأصيلة كالكرامة والعزة والشرف والترويج لقيم التسامح ونبذ العنف والحوار السلمي، وهي قيم يقصد بها فتح المجال للتدخل الأجنبي وشل روح المقاومة لمجابهة هذا التيار الزاحف وتكريس روح الاستسلام عبر تفريغ الهوية الجماعية من كل محتوى، أو على حد تعبير الدكتور محمد عابد الجابري: " تكريس التطبيع مع الهيمنة لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأول والأخير للعولمة ".

---

1 فالجريمة المنظمة بخلاف الجريمة العادية، ترمي إلى اللجوء إلى الإجرام كأداة لكسب الربح وهي تحتاج إلى توزيع للأدوار وإلى تنظيم، وتصبح مؤسسة لها أهداف وقواعد وقيادات. وقد نما بذلك اقتصاد مواز وخفي تديره شبكات الجريمة المنظمة التي تضاعف رقم معاملاتها وأصبحت أداة للتشغيل. فحسب صندوق النقد الدولي، وصلت الأرباح المتأتية من الأنشطة الممنوعة إلى 500 مليار دولار في السنة.

2 من هذه الخيارات التي يعددها مناهضو العولمة خوصصة المؤسسات الاقتصادية الكبرى تمهيدا للتفريط فيها للأجنبي، فتح الحدود للبضائع والسلع الأجنبية، رفع اليد عن حماية الصناعات الوطنية...

- الترويج للقيم الاستهلاكية باسم الحرية والحق في الاختيار واتخاذ القرار[1] .

- مزيد التحكم في العقول والتأثير على الإرادات عبر ربط الأفراد بالإنترنت والترويج لتكنولوجيات الاتصال والواقع الافتراضي والتعلم عن بعد.. وبذلك يقع الحد من دور المربي في إعداد الأجيال وحصر مهامه وتقليصها قدر الإمكان ليصبح مجرد " همزة وصل " بين المعلومة والمتلقي.

ولعل ما جعل هذا الفريق يخرج عن صمته وينبه إلى خطورة العولمة على جميع القطاعات بما فيها قطاع التربية والتعليم، هو ظهور عدة بوادر سلبية تصب كلها في اتجاه تدعيم المركزية الثقافية الغربية واستهداف خصوصيات الشعوب الأخرى ورموزها التاريخية والحضارية والترويج المتواصل للنزعة الفردية وقيم الربح السريع على حساب قيم التعاون والتضامن والتماسك الأسري.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن العولمة لا يمكن أن تمثل خطرا إلا على الشعوب والأمم التي تفتقر إلى ثوابت ثقافية وحضارية، ولذلك فنحن مطالبون بالاستثمار الفعلي في مصنع التربية، وذلك يبدأ بتثمين ذاتنا الحضارية من خلال الإحساس بالتميز وبالقدرة على الفعل والتأثير حتى نجنب أنفسنا وأبناءنا قدر الإمكان مرارة الشعور بالفشل والإحباط لأن

1يقول الأستاذ حاتم بن عثمان في مقال بعنوان " العولمة فرصة أم رهان " (المجلة التونسية لرقابة التصرف – العدد 14 – ص. 109):

" ويصبح كل شيء قابلا للاستهلاك بسرعة في كل لحظة وفي كل مكان فتختلط هكذا القيم والمفاهيم وتعوضها شيئا فشيئا قيم جديدة ويتغير الوعي بعاملي الزمان والمكان وتهتز على مر الأيام أركان كل القناعات التي كانت سائدة لدى الشعوب وتسهل عملية المسخ والاستبدال وإعادة التركيب على أسس جديدة وفق ما ترسخ في عقول الأجيال الناشئة من مفاهيم وقيم جديدة تتكرس بالممارسة فتطغى السطحية وأحلام البطولات والوهم وأوهام الحرية... "

الهزيمة النفسية أمام العولمة والاستسلام لقدرتها هي غاية ما يصبو إليه منظرو العولمة ومروجوها، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال التأسيس لمعالم تربية جديدة قائمة على أسس معرفية حديثة ومفردات فكرية متجددة تأخذ بعين الاعتبار مختلف المستجدات والمتغيرات التي تطرأ على المجتمع.

أما بخصوص التحدي الثقافي الاجتماعي والإعلامي، أو بعبارة أخرى التحدي الحضاري، فإن للعولمة تأثيرات واضحة الملامح على البناء الثقافي والنسيج المجتمعي للبلدان العربية، ولعل من أبرز هذه الملامح ما يتعلق بالاختلال الذي طرأ على المنظومة القيمية، وبالتضارب الفاضح بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية نتيجة الهيمنة الثقافية والإعلامية لما يسمى بدول المركز التي استطاعت في أغلب الأحيان التسلل إلى عقول وعواطف ومشاعر أفراد المجتمع، لاسيما جيل الناشئة والشباب، وقدمت النموذج الغربي أو الأمريكي على وجه الخصوص بأنه النموذج الوحيد للحياة الثقافية والاجتماعية الراقية. ولعل أبرز الأدلة لمدى سطوة هذا التأثير ما تبثه القنوات الفضائية العربية من برامج وأفلام ومسلسلات مثل (ستار أكاديمي) Star Academy، وغيرها، التي تلقى رواجا كبيرا لدى المتلقي العربي.

لقد خلقت العولمة واقعا جديدا للهيكل والنسق الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية سواء على مستوى الأسرة أم مستوى شرائح ومؤسسات المجتمع أم على مستوى العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة. كما أنها أصبحت تهديدا حقيقيا للهوية الثقافية والانتماء الوطني أو المحلي، وعاملا رئيسا في هجران الإرث الحضاري القومي المبني على تاريخ الأمم وحضاراتها وأمجادها.

ولا ينبغي الخلط هنا بين قبول المرء لثقافة عالمية نجمت عن تلاقح ثقافات متنوعة ومتعددة وتحظى بقيم إنسانية خالدة، مثل العدل والمساواة والحرية والصدق والأمانة وغيرها، وبين فرض ثقافة معينة على العالم كله وتصديرها

أو الادعاء بأنها هي وحدها الثوابت العالمية التي ينبغي اتباعها دون قيد أو شرط ودون تحوير أو تعديل، فبقدر ما يمكن أن نتقبل التأثير الإيجابي لثقافة العولمة، نرفض بنفس القدر والقوة تأثيرها السلبي.

المبحث الخامس: نحن والعولمة...

1- الهوية العربية الإسلامية في زمن العولمة:

العولمة هي ظاهرة أفرزتها ثورة الاتصالات وتقانة المعلومات في ظل النظام العالمي الجديد، الذي أتاح للولايات المتحدة ودول الغرب السيطرة الكاملة والهيمنة على العالم، في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والتقنية والعسكرية. وقد اهتم المفكرون بهذه الظاهرة وما قد يترتب عليها من تداعيات ونتائج تؤثر على الناس في شتّى مناحي الحياة، وبصفة خاصة، على هويتهم الثقافية، وثقافتهم القومية، وذاتيتهم الوطنية، ومعتقداتهم الدينية. ونتناول في هذا البحث مفهوم العولمة، وظهورها، والفرق بينها وبين العالمية، والآثار الإيجابية والسلبية الناجمة عنها، خاصة ما يتعلق منها بالجانب الثقافي، وأثر ذلك على الهوية العربية والإسلامية، ثم نبحث في سبل التعامل معها ومواجهتها.

تعتبر اللغة من أهم العناصر التي تشكّل هوية أي جماعة وأي وطن، وهي التي تطبع هذه الهوية بطابعها الثقافي المميز. واللغة العربية هي اللغة المشتركة التي يتحدث بها جميع أبناء الأمة العربية، وهي لغة التراث المشترك، ولغة العلم والثقافة، وبالتالي لغة التحديث والحداثة. إنها الرابطة المتينة التي توحد بين مستويات الهوية في الوطن العربي، وهي الأداة التي بها يمكن للعرب الدخول في العالمية وتحقيق الحداثة. ويمكن للغة العربية - إذا أردنا- أن تكون جسرا تعبر عليه ثقافات الشرق والغرب، فينتقل إلينا بواسطتها ما وصل إليه الآخرون من تقدم علمي وتكنولوجي، ويكون دورنا الأهم في تفعيل حركة

النقل والترجمة هو دقة الاختيار والتركيز على ما يفيد خططنا. لقد أنفقت اليابان عشرات المليارات على حركة الترجمة لتضع شعبها ومؤسساتها الأكاديمية على قدم المساواة معرفيا مع العالم الذي كانت تقوم عليه العولمة المعاصرة. فهل يمكننا أن نفعل شيئا شبيها بما فعلته اليابان في هذا المجال؟.

من جهة أخرى، فإن الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية تتميز بنوع من الثنائية، التي طبعتها منذ ما يقرب من قرنين، نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية، وهي ثنائية التقليدي والعصري التي كرست الازدواجية والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية.[1]

وليست العولمة وحدها هي المسؤولة عن نشر ثقافة دون أخرى في عالمنا العربي، وليست هي التي تقود معركة الغزو الثقافي، وذلك لأن جميع تكنولوجيات الاتصال في بيوتنا مفتوحة على العديد من محطات الإذاعة والقنوات الفضائية العالمية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وغيرها، ولم نعمل شيئا في سبيل وقفها. وهذا يعني أن ما يسمى بالغزو الثقافي للعولمة لا يتضمن أي نوع من الاقتحام القسري بواسطة قوة خارجية تقوم بانتهاك خصوصيتنا أو الاعتداء عليها. وليس بالضرورة أن كل ما يهجم على هويتنا العربية والإسلامية قادم إلينا من الخارج، فإن الذين يتابعون منّا القنوات الفضائية الأجنبية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، والمجلات والجرائد والكتب الأجنبية الخليعة، لا يزالون قلّة. ولكن الوسائل التي اخترقت كياننا وثقافتنا ووصلت إلى أبنائنا وبناتنا، صغارا وكبارا، في بيوتنا ومؤسساتنا، هي من صنع أنفسنا. وتتمثل هذه الوسائل في بعض الإذاعات والقنوات الأرضية والفضائية العربية وعدد غير قليل من الصحف والمجلات التي

1 (الجابري، مرجع سابق، ص 304).

تفاجئنا وتفجعنـا بتقـديم أكـثر الـبرامج والكتابـات والصـور تهتّكـا وبعـدا عـن قيمنـا الإسلامية وثقافتنا العربية.[1]

ومع ذلك، فإنه يتعين علينا أن نوجد لدى جماهيرنا الوعي بـأن يختـاروا مـن بـين الصـور والرسـائل الإعلاميـة المختلفـة مـا يتفـق مـع قيمنـا الدينيـة ومثلنـا الأخلاقيـة ومعتقداتنا الاجتماعية وتوجهاتنا السياسية، وبمعنى أعم وأشمل، ما يتفق مـع ثقافتنـا القومية دون أن نغالي في الحديث عن مساوئ العولمة وآثارها الضارة المـدمرة. وعلينـا أن نوجد آلية نتعامل من خلالها مع الجوانب السلبية للعولمـة بالشـكل الـذي يحفـظ للأمة العربية هويتها ويضمن لها مكانتها بين الأمم ويساعد على تحقيق آمالها، ويؤكد الحفاظ على حقوقها الكاملة في السيادة والتقدم والتعاون العادل المثمر بين الشعوب.

إن الأمة العربية والإسلامية لديها مقومات النهوض الثقافي والفكري، لكنهـا تحتـاج إلى إرادة قوية تكون قادرة على تفعيل هذه المقومـات، ويمكنهـا وضـع الآليـات التـي تستطيع من خلالها تنفيذ استراتيجيتها حتى نحتل موقعا يرضينا على الساحة العالمية. وإذا سلّمنا بأن العولمة هي واقع قائم لا مفرّ منه، بسبب ما يشهده العالم من تغيرات متلاحقة وسريعـة في مجـال الاتصـال والتكنولوجيـا، فـإن الخيـار الـذي نأخـذ بـه هـو التعامل مع معطيات العولمة بصورة جدية وواقعية، وأن نحاول أن نأخذ موقعا ملائمـا في هذا العالم، دون أدنى تفريط في هويتنا وثوابتنـا. ويجـب أن نطـرح جانبـا- في هـذه القضـية - فكـرة المـؤامرة وأن الغـرب يتـآمر علينـا، ويجـب أن نعـي أن لكـل إنسـان مصالحه الخاصـة، فكـما أن لـدينا مصـالحنا، فـإن لـدى الآخـرين مصـالحهم في شـتى المجـالات الاقتصـادية والسياسـية والعسـكرية والإعلاميـة وغيرهـا، وهـم يعملـون جاهـدين عـلى تحقيقهـا. ولا نسـتطيع أن نوقـف الآخـرين عـن تحقيـق مصـالحهم،

---

1 الأسد، مرجع سابق، (ص 119-120).

ولكن ما نستطيع أن نفعله هو التصميم على مواكبة العصر، والأخذ بما تصل إليه أيدينا من تقدم علمي وتكنولوجي.

ويرى الإسلاميون أن العولمة بمعنى التسليم للهيمنة الغربية، وفرض التبعية للغرب، والسير تحت لوائه، هو أمر مرفوض تماما.[1]

وهم يعتقدون أن العولمة بالمفاهيم الغربية، هي ضد الدين الإسلامي الذي يفضحها ولا يقبلها في أي أساس من أسسها، وهم يرون في هذه القضية نوعا من التحدي: "فإما نكون أو لا نكون". ويرى أصحاب هذه النظرة أن الأمة إذا قبلت أسس العولمة الغربية تكون قد فرطت في دينها، وإذا تمسكت بدينها فلا يجب أن تقبل شيئا من هذه العولمة،[2]

لما تجلبه من سلبيات وأخطار، بالتعامل مع الغرب أو بالانفتاح على الآخر، وما ينجم عن ذلك من تأثيرات أجنبية تهدد هويتنا الثقافية. وهناك موقفان سائدان، هما:

1. موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي الذي يوجّه إلى الذات.

2. موقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي، أي الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها.[3]

---

1 المرسي، كمال الدين عبد الغني (1999م)، العلمانية والعولمة والأزهر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (ص 178-182).

2 العزمي، عبد الحليم إبراهيم (1999م)، العولمة بين سماحة الإسلام وهيمنة الغرب، مقال في مجلة الإسلام وطن، العدد 138، يونيه 1998، ص36- 37، - نقلا عن: المرسي (كمال الدين عبد الغني)، العلمانية والعولمة والأزهر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (ص 174)،

3 الجابري، 1998م، (ص 305 – 306).

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نقلل ولا نهوّن من الخطورة التي يمكن أن تلحقها العولمة الثقافية بهويتنا بوجه خاص، وبالتنوع الثقافي بوجه عام، ولكننا في نفس الوقت، لا نميل إلى المبالغة في ذلك. وحتى لا نصاب بالجمود، فنتخلف عن مواكبة هذا التطور العلمي المتسارع من حولنا، يجب أن نتقبل الجديد، ونسعى إليه، مع المحافظة على هويتنا الثقافية بعيدا عن التعصب والانغلاق. وإذا كانت ثقافتنا العربية تعاني اليوم من الثنائية والانشطار، ومن الاختراق الثقافي بفعل العولمة، فإن ما يجب أن نفعله هو الانطلاق من الداخل، أي من داخل ثقافتنا العربية نفسها، ذلك لأنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطرا على الكيان والهوية.

ونود أن نشير إلى أن العولمة الثقافية ليست دائما عدوانا مقصودا مخططا له، يوجّه إلينا لاستلابنا حضاريا وثقافيا. ويجب ألا نتعامل مع العولمة الثقافية من موقف التوجس والرفض والعدوانية دائما، لأننا بذلك نكون قد شجعنا التقوقع والتراجع إلى الذات دون أن نستفيد من التفاعل الحضاري الضروري لتطور الثقافات وتطور الحضارات. ولا بد أن نعي ونعترف أن في أوربا وأمريكا علماء ومفكرين اجتماعيين وسياسيين واقتصاديين، لهم مكانتهم وأثرهم في الفكر الإنساني وفي تطوير العلم والمعرفة، ولهم نتاج جدير بأن نطّلع عليه ونستفيد منه إذا أردنا لأنفسنا ولأمتنا أن نسير في ركب التقدم وأن نشارك في موكب الحضارة والعلم. وليست الحياة في الغرب على النحو الذي تنقله لنا القنوات الأرضية والفضائية من مظاهر العري الفاضح، والتهتّك، وإنما فيها أيضا من التستّر والاحتشام والتدين والعمل الجاد والسعي الدائب، بالقدر الذي أوصلهم إلى ما هم فيه الآن.[1]

1 الأسد، مرجع سابق، (ص 115-120).

ولذلك، يجب علينا أن نوجد الآلية التي نختار بها ما لا يتعارض مع عقيدتنا وهويتنا، وأن نكوّن الفكر الذي نستطيع به التعامل مع الفكر الآخر، الفكر الناقد الذي يستطيع أن يختار ما يناسبه ويطرح بعيدا ما لا يناسبه.

إن حاجتنا إلى تجديد ثقافتنا وإغناء هويتنا والدفاع عن خصوصيتنا ومقاومة الغزو الثقافي والإعلامي الكاسح، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الوسائل والأدوات التي لا بد منها لممارسة التحديث ودخول عصر العلم والتقانة كفاعلين مساهمين، ولكننا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا القومية وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع. إن نجاح أي بلد من البلدان في الحفاظ على الهوية والدفاع عن الخصوصية، يتوقف إلى حد بعيد على عمق عملية التحديث الجارية في هذا البلد، وانخراطه الواعي، في عصر العلم والتقانة. وهذا لا يتحقق إلا بالاستغلال الأمثل للإمكانيات اللامحدودة التي توفرها العولمة نفسها، أعني الجوانب الإيجابية منها، وفي مقدمتها العلم والتقانة. وهذا ما نلمسه بوضوح في تخطيطات الدول الأوروبية التي تعتقد أن خطر "الغزو الثقافي الأمريكي" يهدد هويتها، ويؤثر في لغتها وسلوك أبنائها وتصوراتهم.[1]

فإذا كان هذا هو شأن الدول الأوروبية واليابان وغيرها من الدول الأكثر منا تقدما في أخذها بما تقدمه العولمة من إيجابيات، فإنه كان من الأولى على الدول التي توصف بأنها "نامية" أو "متنامية"، التي ننتمي نحن إليها، أن تدرس وتخطط للاستفادة بما تقدمه العولمة من علمٍ وتقانة، بسرعة ودون إبطاء. فهل من المعقول أن نرفض مكتسبات العلم الحديث في الغرب والشرق اكتفاء بنظريات علماء العرب والمسلمين القدامى؟ وهل من المعقول أن نتجاهل ما

1 الجابري، 1998م، مرجع سابق، (ص 3).

يحدث من تقدم في الطب والعلوم لأنه نتاج الجامعات الأمريكية والأوروبية؟ [1]

2- مواجهة الغزو الثقافي ومجابهة العولمة:

بالنسبة لعالمنا العربي والإسلامي، يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن انشغاله بالدفاع عن هويته الثقافية في مواجهة العولمة هو رد فعل لأزماته وكبواته في العقود الأخيرة، ويبدو أن هذا رأي تعوزه الدقة، لأن هذا الانشغال ليس وقفا على مجتمعاتنا. فالملاحظ أن الثقافات بطبيعتها مهما كانت مستوياتها هي في حالة استعداد دائم للدفاع عن هوياتها، ويرتفع هذا الاستعداد إلى درجة الاستنفار في فترات الأزمات بصفة خاصة.[2]

فالصراع دائم ومستمر بين العولمة والمحلية، وهناك مقاومة دائمة ومستمرة على النطاق القومي، تأخذ أشكالا مختلفة ومتعددة. وقد رأينا في المجال الثقافي، أن العولمة تعني انتقال الأفكار والمبادئ والمعلومات وغيرها عبر الحدود، في حين تميل المحلية في بعض الأحيان إلى الانغلاق ومنع انتقال هذه الأفكار والمبادئ. ويشهد على ذلك موقف الدول العربية من السماح للأفراد باستخدام الشبكة العنكبوتية (الإنترنت). فهناك دول عربية تفرض حظرا تاما على ذلك، ولا تسمح لسوى أجهزة الدولة باستخدام الشبكة، وهناك دول عربية أخرى لا تضع أي قيود على استخدامها. ومن هنا يمكن

---

1 البيلاوي، مرجع سابق، ص 34،

2 إبراهيم، فتحية محمد أحمد (2003م)، "أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثروبولوجية"، في: مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 15، الآداب (1)، الرياض، النشر العلمي بجامعة الملك سعود، (ص 127- 128).

القول إن قبول مختلف جوانب العولمة قد يختلف من بلد إلى آخر. فقد يقبل قطر معين العولمة الاقتصادية، ولكنه يرفض العولمة السياسية المتعلقة بالديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان، وقد يرفض قطر آخر العولمة المعلوماتية أو عولمة الاتصالات.[1]

ونود هنا أن نؤكد على ضرورة الأخذ بما هو إيجابي في العولمة، ولا خوف على هويتنا من ذلك، لأن ثقافتنا الإسلامية قادرة على المحافظة على ثوابتها وخصوصيتها. والمطلوب في عصر العولمة ألا نتطرف سواء نحو الانغلاق أو نحو التعلق بكل جديد، بل الواجب هو الانخراط في عصر العلم والتقنية كفاعلين مساهمين، مع حماية خصوصيتنا الثقافية من الاختراق.

ولابد من الوقوف على الأسباب التي تجعلنا عرضة للوقوع في فخ العولمة الثقافية حتى نعمل على معالجتها. من هذه الأسباب: فشل برامج التنمية بما فيها التنمية الثقافية والتربوية، وفشل الدور التربوي للمدرسة، وفقدان الوعي بالذات والوعي بالتراث، وحاجتنا إلى دراسة تاريخنا وأخذ العبر منه.[2]

إن التعليم هو المحور الأساسي للحفاظ على الثقافات الموروثة وتنميتها وفتح الآفاق للتقدم والرقي، ولذلك يجب علينا العمل على ربط منهجنا العلمي بالغايات التي نتطلع إلى تحقيقها،[3]

---

1 يسين، مرجع سابق، (ص 27-28).

2 شرف، مرجع سابق، (ص 357 – 358).

3 التوم، عبد الله عثمان، وآدم، عبد الرؤوف (1999م)، العولمة دراسة تحليلية نقدية، لندن، دار الوراق، (ص 135-143)،

وتقوية برامجنا التربوية والتعليمية حتى نتمكن من بناء الفكر الذي يستطيع التعامل مع الفكر الآخر، وحتى يستطيع أبناؤنا اختيار الجيد مما تعرضه عليهم وسائل الإعلام المختلفة، السمعية والبصرية.

ومما لا شك فيه أن العولمة الثقافية بكافة أشكالها قد سببت رد فعل متشددا عند الشعوب التي تشعر بضرورة الحفاظ على الذات والتراث والعودة إلى الأصول. ففي مقابل هجمة العولمة تقوم الحركات المدافعة عن الهوية والخصوصية بعملية تحصين ذاتية عن طريق تنمية قواها واختيار التقانة الملائمة لمواردها وحاجاتها. ويتخذ الصراع منحى قوميا حينا، ودينيا أحيانا، واقتصاديا في كل حين. ويبدو أن العالم يتجه تحت ضغط العولمة الزاحفة إلى التمسك أكثر من أي وقت مضى بخصوصياته الثقافية وكياناته السياسية وتقاليده وأصوله، وإلى المحافظة على حدود الأوطان والسيادة الجغرافية. ونعتقد أن العولمة ستكون الدافع الأساسي لتحريك الخصوصيات الثقافية والسياسية مهما توسعت العولمة الاقتصادية. فقد فجرت العولمة الغازية العديد من الحركات الأصولية دفاعا عن الذات والشخصية الوطنية، وسرعان ما بررت هذه الحركات استخدامها العنف بحجة أنه سلاح الضعفاء أمام المستبدين.[1]

وعلى أي حال، فإن العالم العربي والإسلامي مطالب بالتصدي لأخطار العولمة بكافة أشكالها، وأن يكون حذرا تجاهها، ولن يستطيع تحقيق ذلك إلاّ بالاتحاد والعمل على إقامة تجمع اقتصادي واحد، وسوق مشتركة واحدة، ومنطقة تجارة حرة واحدة. إن العالم العربي الإسلامي في حاجة ماسة إلى

1 بقرادوني، كريم (1998م)، المناقشات، في: "العرب والعولمة"، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت 1997م)، تحرير أسامة أمين الخولي، ط2، بيروت، (ص 358 – 359)

التكامل في جميع المجالات، خاصة التعليم والإعلام ومجالات الاقتصاد وتنمية المجتمع واكتساب وسائل العلم والتقانة.

3- الموقف من العولمة:

بعد كل ما تقدم وما يقال عن العولمة من سلبيات وآثار، فإن هناك من يقول بأن لها جوانب إيجابية.. لذا، فالموقف الآن من هذه القضية معلق بين القبول والرفض، بين الإيجابية والسلبية في التعامل مع موضوع العولمة، فهناك من يرى في العولمة بأنها ملاك ورحمة قدمت إلينا. ومنهم من يرى العكس، أنها الشيطان الأكبر الذي لابد من مواجهته ومحاربته. فهي خطر على الأمة، وهي ضرورة حضارية لها من أجل التقدم والتطور في رأي البعض الآخر.[1]

إن الفريق الرافض للعولمة يدرك الخطر الداهم والتحديات الكبرى التي تفرضها العولمة في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والتربوية. فالعولمة في منظورهم شر مستطير يحمل إلى الإنسانية مخاطر تفوق حدود التصورات وتتجاوز ومضات الخيال. إنها ترمز إلى بداية حالة اغترابية عند الإنسان يفقد فيها جوهره الإنساني ليسقط في مستنقع الاستلاب. وتتمثل هذه الغربة الشاملة التي تنذر بها العولمة في ازدياد نسبة البطالة بلا حدود، وتحول المجتمع الإنساني إلى الطابع الاستهلاكي، وتحول الإنسان إلى البعد الواحد الذي يتمثل في قيمة الربح والخسارة، وتراجع أنظمة التأمين الاجتماعية، وانخفاض الأجور، والغزو الثقافي، وانهيار القيم. ويعتمد أنصار هذا الاتجاه في موقفهم على نسق من السلبيات والمخاطر التي تستجرها العولمة للمجتمعات النامية. وتتمثل إحدى أهم سلبيات العولمة في غياب

1 الهويمل، حسن بن فهد. العولمة. صحيفة إلكترونية يومية، العدد 10099، 23 أيار،20006.إلياس خوري، العولمة وحقوق الإنسان الثقافية، في: "العولمة وحقوق الإنسان" أعمال الحلقة الدراسية في 8 و9 و10 كانون الأول 2000م الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان، بيروت 2002.

مبدأ تكافؤ الفرص في المعلومات والتقنيات والإعلام. فالإعلام الفضائي متحيز كما هو معروف إلى بلاد المركز، وهذا ينسحب على توزيع شبكات المعلومات وقواعدها ويتجلى في احتكار صناعة التقنيات ومنعها عن الدول النامية. وإذا كانت العولمة حركة تاريخية ضاغطة، تتجه إلى صيرورة العالم واحدا وإزالة الحدود والحواجز التي تمنع هذه الوحدة، كما تتجه إلى تأكيد ثقافة واحدة متجانسة هي ثقافة المال والتجارة والاستهلاك. ومع ذلك، فإن الواقع يضعنا في صورة مشهد آخر للعولمة قوامه العنف والصراع والتعصب والحروب العرقية والدينية من كل جنس ونوع.

فالعولمة الموجهة من قبل الشركات والمؤسسات الدولية والعالمية، لا سيّما من قبل الدول الصناعية، توظف مختلف التناقضات في مصلحة العولمة ذاتها وفي خدمة استراتيجيتها. فهناك اليوم مؤسسات عولميّة تسعى إلى تفجير الأزمات، وبالتالي فهي تعوّل على أرباح كبيرة في ميدان إيجاد الحلول لهذه الأزمات التي غالبا ما تكون ضرورية لاستمرار بعض الشركات والقوى الفاعلة في مجتمع العولمة. فافتعال الأزمات وتجاوزها وإنتاجها وإعادة إنتاجها فعل عولمي وشريان حيوي في حركة العولمة وتنامي طاقاتها. فالحروب تعني، بالنسبة للدوائر الصناعية والشركات الصناعية الكبرى، دورة اقتصادية مهمة في بيع السلاح وإعادة إنتاجه وزيادة الأرباح. ومن جهة ثانية، يلاحظ أن هذه الحروب والخلافات تضعف بعض المجتمعات وتجعلها في قبضة العولمة والشركات الاحتكارية الكبرى. ومثال ذلك أن التقارب بين الدول العربية يهدد المصالح الغربية في المنطقة، ولذلك، فإن إبقاء المنطقة العربية في حالة تشتت ونزاع وصراع يعد أمرا جوهريا في حركة العولمة الأمريكية ودينامياتها.[1]

1 وطفة، علي أسعد. مفاتن العولمة ومثالبها. قراءة نقدية في الموقف والعولمة. جريدة الأسبوع الأدبي. العدد 826، 2002.

كما أن هناك من الكتاب والمفكرين من يعدد المخاطر التي يمكن أن تأتي بها العولمة ويحذرون من عدد من المخاطر التي تفرزها العولمة ومنها:

1.الهندسة الوراثية وتوظيفها تجاريا وعنصريا وعسكريا.

2. سعي الشركات العالمية لاستغلال ثروات الشعوب وخيراتها، مما يؤدي إلى ازدياد الفجوة الاقتصادية بين الدول الفقيرة والغنية، ودول الشمال والجنوب.

3. احتمال صراع أو صدام الحضارات، ودخولها في حروب.

4. انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بشأن العالم وفرض ثقافتها، ونشر نموذجها الحياتي.

5. اغتراب الإنسان وتصدع بنيته النفسية والذهنية وقيمه وعقيدته.[1]

وإذا كانت العولمة توحي بكل هذه التداعيات، فهي موحشة وستجد كل الرفض من الشعوب. فالمنافسة المعولمة أصبحت تطحن الناس طحنا، وتدمر التماسك الاجتماعي، وتعمل على تعميق التفاوت في توزيع الدخول والثروة بين الناس.[2]

وباختصار، فإن العولمة تؤدي إلى تنميط الثقافة المحلية وتقويضها، وتعمل على تهميش الثقافة العربية الإسلامية وتكرس تبعيتها ودونيتها. إنها تضع المجتمعات الإنسانية في أسر التطلعات الاستهلاكية وتؤكد البعد الاستهلاكي

---

1 عبد الله،عبد الخالق. العولمة: جذورها وفروعها. كيفية التعامل معها. عالم الفكر. الكويت، 1999، ص89

2مارتين، هانس بيتر وشومان، هارلد. ترجمة: عدنان عباس علي. فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. عالم المعرفة: الكويت 1998، (ص15)

للإنسان في هذه المجتمعات، كما أنها تسعى إلى تذويب الهويات القومية والوطنية عبر مختلف الأدوات والتقنيات المعلوماتية.[1]

وفي الجهة الأخرى، نجد هناك فريقا آخر مؤيدا للعولمة، وأن لها امتيازات عديدة وسحرا لا يقاوم، كما أن التحديث والتجديد والانفتاح على كل ما هو موجود في العالم الخارجي والغربي سيكون عاملا مساعدا لنا في التقدم والتطور وهي أمر لابد منه. وهذا القبول المطلق للعولمة له ما يؤيده من وجهة نظر أنصار هذا القبول، فهم يرون أن العولمة لها إغراءات كبيرة لا تقاوم ولها مفاتن كبيرة لا يمكن لأي فرد أن يتوارى عنها أو يتجاهلها. ومن أهم هذه المميزات أو الإغراءات، ما يقدمه لنا الحاسوب وشبكات الإنترنت ووسائل الإعلام المرئية منها بشكل خاص من أجهزة لاقطة للاستقبال نتواصل معها مع الحدث في كل مكان وزمان. إن ما تقدمه لنا الآن وسائل الاتصال الحديثة من شبكات الإنترنت والقنوات الفضائية المختلفة والمتنوعة من برامج ومعلومات متنوعة تبهر العقل الإنساني وتجعله مشدودا إليها في كل وقت، بل بفضلها أصبح الكمبيوتر على سبيل المثال من الحاجات الأساسية في أي منزل بعد أن كان يعد من الكماليات فيه أصبح وجوده ضروريا كما في وجود الثلاجة والطباخة والغسالة وغيرها من أدوات منزلية أخرى، فلا يكاد يخلو أي بيت منه أو من (الساتلايت) والأكثر من هذا، تجد الآن أن النقاش كله يدور حول ما يمكن متابعته من معلومات أو مشاهدته من برامج أو أفلام، سواء عن طريق الحاسب (الإنترنت) أم من خلال القنوات الفضائية المختلفة.

ويضاف إلى سحر العولمة وفتنتها، الموقف السلبي لشريحة من المفكرين العرب إزاء الثقافة العربية، حيث يجري الاعتقاد بأن ثقافتنا العربية حبلى بكل مظاهر القصور والسلبيات والجمود. فهناك حضور كبير للأميّة والجهل

1 وطفة علي اسعد، مرجع سابق، 2002.

وقيم التعصب والطائفية وقيم الاستبداد وغياب قيم الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان وسيطرة الفكر الغيبي الأسطوري. وبناء على هذه الرؤية فإنه لا يوجد لدينا ما نخشاه إذ جاء زحف العولمة التي يمكنها أن تسقط هذا الحمل الممسوخ وتتطهر رحم هذه الأمة الثقافية من أدرانه وعيوبه.[1]

أما الموقف المعتدل، فهو الذي يرى أننا يجب ألا نعادي العولمة ونرفضها بشكل اعتباطي ومطلق ولا أن نقبلها بشكل مطلق، فيجب أن تكون لدينا القدرة على الانتقاء مما هو مفيد لنا فما تقدمه العولمة من تكنولوجيا مثل تكنولوجيا الاتصالات لا يمكن لنا أن نرفضه أو لا نقبل به، فهي ضرورية للحياة الحاضرة لكي نتمكن من معرفة ما يدور في العالم الآن وما يجري من أحداث في هذا الكون، وأن نكون مواكبين لها ولكل ما هو جديد من اختراعات واكتشافات علمية أو آراء علمية أو أدبية جديدة. وهذا يعني أنه يمكننا الاستفادة مما هو إيجابي منها ورفض ما هو سلبي من تهديد للثقافة والهوية العربية. الذي نحتاجه في النهاية هو أن نكون حداثيين ولكن على طريقتنا التي نحافظ بها على انتمائنا وهويتنا ومنظومتنا العقدية والدينية.

إن القبول بالعولمة "لا يقتضي نفي الذات ولا جلدها، والرفض لا يقتضي مصادرة حق الآخر ونفيه، وهذان التصوران القائمان عند الأكثرين لا يحققان شيئا من التعامل الإيجابي، (العولمة قادمة)، تلك حقيقة لا ينكرها إلا جاهل، ولكن لن تكون ذات مستوى واحد ولا فعل واحد، والمتلقي هو الذي يحدد أسلوب المواجهة والتعامل، والغرب الذي ما فتئ يسك المصطلحات خليط من خير وشر، وإذا أصاب الحكمة فيما يأتي فهي ضالتنا لا نسأل عن مصدرها". إن علينا أن نقبل بما لا بدّ منه وندفع بالتي هي أحسن ما لا يتفق مع سياقنا الحضاري، والغرب.[2]

---

1 وطفة، مرجع سابق، 2002 .

2 الهويمل، حسن بن فهد، مرجع سابق.

إن العولمة موجودة سواء شئنا أم أبينا، وهي الآن موجودة بقوة وصلابة، وعلينا أن نكون على درجة كبيرة من الوعي للاستفادة مما هو إيجابي والتصدي لكل ما هو سلبي منها، حيث إن البعض يرى فيها تطورا تاريخيا وتغييرا تمر به البشرية ونحن الآن نعيش في وسطها سواء قبلنا أم رفضنا ذلك.

فالعولمة، "مرحلة تاريخية وصلت إليها البشرية كنتيجة منطقية للتراكم الحضاري الذي حققته، ومن هذا المنطلق لا يحق لنا أن ننظر إليها كأنها مرحلة غريبة عنا، أو أن نحاول معاداتها وتجنب الانخراط فيها، وذلك لأننا أمة لها حضارة عريقة في التاريخ، ولأن تجنب هذه العولمة والهروب منها يعني أننا لا نثق في حضارتنا وقدرتنا على الوجود والحضور".[1]

وأخيرا، فإنه على مؤسسات التربية، وفي مقدمتها الأسرة والمدارس والكليات والمعاهد والجامعات، أن تقوم بدورها المستقبلي من خلال رؤية استراتيجية طموحة ترنو إلى إعداد جيل من المواطنين العرب المتمسكين بهويتهم الحضارية والثقافية، القادرين على التعامل الواعي مع مظاهر العولمة وتحدياتها المختلفة، بدءا بالمجال الفكري لتحويل مفهوم الصراع والتصادم الحضاري، إلى حوار حضاري بناء يتسع فضاؤه لتفاهم الحضارات المتعددة، ويتيح الفرصة أمام التبادل الحضاري والثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وانتهاء بالمشاركة في تشكيل معالم العولمة بهدف تحويلها، من مجرد عولمة مطلقة متحيزة مهيمنة، لا تأخذ بعين الاعتبار مصالح الأمم، لاسيما الأمم النامية ومستوياتها العلمية وإمكاناتها المادية والبشرية، إلى عولمة متزنة يشارك في صنعها كافة شعوب الكوكب الأرضي، وتراعي إلى حد كبير الفروقات والاختلافات الحضارية بين أمم العالم بشقيها " القيمي " و" المادي ".

---

1 الزندي، عبد الرحمن وآخرون. مستقبل الأمة التربوي في ظل العولمة الثقافية. تحرير محمد خالد مصعب وآخرين. مجلة الشقائق، العدد 35، 2000. (الزندي وآخرون، ص17)

الفصل الرابع

الأسرة والتنشئة الاجتماعية

في عصر المتغيرات

المبحث الأول: الأسرة والتنشئة الاجتماعية

للتنشئة الاجتماعية دور بالغ في عملية بناء المجتمع على الصعيد الاقتصادي والثقافي والسياسي والنفسي، وإن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، اذ إنها تلعب دورا أساسيا في السلوك السوي وغير السوي لأفرادها، من خلال نوع التنشئة الأسرية التي تقدمها لهم، فأنماط السلوك وطبيعة التفاعلات بين الأدوار الأسرية داخل الأسرة هي الأنموذج الذي يؤثر سلبا أو إيجابا في إعداد الناشئين للمجتمع الكبير، هذا الأنموذج قد يفرز أفرادا متطرفين في المستقبل، أيا كان هذا التطرف دينيا أو اجتماعيا أو سياسيا. وقد تصادف المجتمعات والجماعات الإنسانية بعض المشكلات في تحقيق هذا الهدف الاستراتيجي من أهدافها في عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية لأجيالها في كل زمان ومكان، ولكن مشكلات التنشئة الاجتماعية في هذا العصر بدت أكثر صعوبة وأشد تعقيدا؛ ما حدا بالسّاسة والمربين والمصلحين على كافة المستويات إلى أن يجدّوا في البحث عن مخرج لتلك الأزمة التربوية الاجتماعية ذات العلاقة بكثير من جوانب الحياة الدينية والأمنية والاقتصادية وغيرها.

وعملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة طوال الحياة، وهي لا تقتصر فقط على الطفولة، ولكنها تستمر في المراهقة والرشد وحتى الشيخوخة، وهي عملية معقدة تستهدف مهام كبيرة، ولها وسائل وأساليب متعددة لتحقيق أهدافها، كما أن لها مؤسسات متعددة ومتفرعة، وكل منها له دور في إتمام التنشئة للفرد وفي مختلف مراحله العمرية وعلى أكمل وجه. ومن تلك

المؤسسات الأسرة والمدرسة ودور العبادة وغيرها. ومع ظهور الانفجار المعرفي، ظهرت مؤسسات أخرى أصبحت تلعب دورا بالغ الأهمية، ولعل أبرزها وسائل الإعلام والفضائيات وشبكة المعلومات الإلكترونية (الإنترنت) التي بدأت تلعب دورا كبيرا في هذه العملية يضاهي الدور الذي تلعبه الأسرة أو المدرسة، خاصة أن عدد كبيرا من الأفراد أصبح اليوم يقضي وقتا أطول في متابعة هذه القنوات الفضائية أو وسائل الإعلام أو الإنترنت بمختلف البرامج التي تقدمها والمعلومات التي يستقيها الفرد منها، وفي كافة المجالات، وعلى كل المراحل العمرية المختلفة. وبما أن هذه الوسائل اليوم وفي الغالب منها تتبع نظام العولمة بل وتدعو إليه بشتى الطرق والوسائل، فقد أثر ذلك وبشكل سلبي على أساليب التنشئة الأسرية المتبعة في الوقت الحاضر، التي بدأت تختلف ليس في شكلها أو تسميتها فقط بل في جوهرها، حيث أصبح الآباء الآن والمسؤولون التربويون في وضع وحال لا يحسدون عليهما.. فهم مطالبون ليس فقط بالرقابة على ما يتابعه الأبناء بل أيضا في تفسير الكثير من الآراء والثقافات الجديدة التي بدأت تظهر، ويتساءل عنها الأبناء أو قد يتشبعون بها من دون المعرفة الكاملة بها وما تحتويه من قيم وعادات وتقاليد وثقافة بعيدة عما يحمله الآباء من عادات وقيم وتقاليد وثقافة. إن العولمة الآن بدأت تنشر أفكارها وأفكار المنادين بها من أوسع الأبواب وبوسائل متنوعة.. وهذا الدخول الكبير لها، لابد من أن يكون له تأثير على واحدة من أهم عمليات بناء الإنسان، ألا وهي عملية التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا تبدو لنا مشكلة الدراسة الحالية التي يمكن تلخيصها بالتساؤل الآتي: ما هي آثار العولمة على عملية التنشئة الأسرية؟

المبحث الثاني: الأسرة والتنشئة الاجتماعية في عصر المتغيرات:

يمر العالم اليوم بمتغيرات كبيرة، شملت معظم مجالات الحياة ولا تقتصر التحـولات في العالم اليوم على التقدم التكنولوجي الذي ننظر إليه بإعجاب وتقدير لما وصلت إليه التكنولوجيا الغربية الحديثة مـن تقـدم وتطـور كبـيرين، بـل إن التقـدم التكنولـوجي الكبير أدى إلى تغيـير في جميـع مجـالات الحيـاة ومرافقهـا، ومنهـا الحيـاة الاجتماعيـة وعمليات التنشئة الأسرية. إن التقدم الحاصل له جوانب إيجابية لا يمكـن لأي فـرد أن ينكرها أو ينكر وجودها وأهميتها في حياته اليوميـة. وفي الوقـت نفسـه، لهـا جوانـب سلبية بدأت آثارها تظهر ولو بشكل بسيط الآن، لكنها تنذر بمخاطر ومشـاكل أكـبر في حالة عدم الانتباه إليها. ومن أهم مظاهر التغيير التي يواجهها العالم اليـوم هـو تـأثير العولمة على مظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة سـواء عـلى مسـتوى الفـرد في الأسرة أم عـلى مستوى المجتمعات بصورة عامة.

إن وجـود أجهـزة الاتصـال الحديثـة والتقنيـات الهائلـة فيهـا وأجهـزة الإنترنـت والفضائيات المختلفة ذات الأبعـاد والاتجاهـات المتنوعـة تمثـل تحـديا كبـيرا في بعـض الأحيان للأسرة بصورة خاصة، وللمجتمع كله بصورة أعم وأشمل في كيفية اسـتخدامها، ومن يراقبها وهل هناك حاجـة أصـلا إلى مراقبتهـا وكيفيـة القيـام بـذلك وغيرهـا مـن الأسئلة المختلفة ذات الاتصال المباشر بهذا الموضوع الحيـوي والمهـم في حياتنـا اليـوم، حيث إنها قد صعبت دور الأسرة في عمليـة التنشـئة الاجتماعيـة، ومـثلما لهـا جوانـب إيجابية كبيرة ومفيدة، فإن لها آثارا لا تقل خطورة على هذه العملية الأساسية في حياة الأفراد والمجتمعات.

اختلف العلماء في تعريف التنشئة الاجتماعية، وتعددت التعاريف التـي أعطيـت لهـذه القطعــة المفاهيميــة، حتــى إنــه يصــعب جمعهــا كلهــا. وتــدل التنشــئة

الاجتماعية في معناها العام على العمليات التي يصبح بها الفرد قادرا على الاستجابة بوعي للمؤثرات الاجتماعية وما تتضمنه المؤثرات من التزامات تفرضها من واجبات قصد العيش مع الآخرين وسلوك مسلكهم وفي معناها الخاص تعتبر نتاج العمليات التي يتحول بها الفرد من مجرد كائن عضوي إلى شخص آخر.

كما ورد في معجم المصطلحات في العلوم الاجتماعية أن التنشئة الاجتماعية هي:

"العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة. ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات...".

وورد في معجم غرافيتس بأنها " العملية التي من خلالها يتم إدماج الأفراد في مجتمع معين فيستوعبون القيم والمعايير والقواعد الرمزية ويعملون على تعلم الثقافة بشكل عام بفضل العائلة والمدرسة وكذلك اللغة والبيئة.. فهي تمثل التعلم والتوافق.

والباحثان الأمريكيان (بريم) و(أويلر) يعرفانها بأنها العملية التي يكتسب الفرد خلالها المعارف والمهارات والميول التي تسمح له بالمشاركة بصفة عضو أكثر أو أقل فاعلية في الجماعة.[1]

وعرفها تشيل بأنها العملية الكلية التي من خلالها يتم توجيه الفرد نحو تنمية سلوكه الفعلي إلى ما هو معتاد ومقبول اجتماعيا وفق ما هو موجود

---

1 حموي، حسين. الأدب والنهوض الحضاري. مجلة الموقف الأدبي. مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد233، 1999.

لدى الجماعة التي ينتمي إليها. كما عرفها بارسونز بأنها عملية تعليم تستند على مختلف عمليات التقليد والمحاكاة والتوحد الاجتماعي عند الطفل مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية للراشد وتهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية لا نهاية لها بل مستمرة باستمرار.[1]

وهي في تصور صالح أبو جادو عملية نمو وتحول الطفل من الاعتماد على غيره والتمركز حول الذات والبحث عن الحاجات الفسيولوجية فقط إلى فرد راشد يدرك مفاهيم المسؤولية ويتحملها ويعتمد على نفسه وله القدرة على ضبط انفعالاته والتحكم في سلوكه وإشباع حاجاته وفق ما تتطلبه المعايير الاجتماعية والقيم التي يفرضها المجتمع وقادر على إنشاء علاقات مع غيره من الأفراد المحيطين به في علاقات اجتماعية سليمة.[2]

يمكن القول إن التنشئة الاجتماعية هي عملية تكامل وتفاعل اجتماعي تتكون خلالها شخصية الفرد وتعكس ثقافة المجتمع، حيث يكتسب الفرد قيم هذا المجتمع واتجاهاته ومعاييره وعاداته وتقاليده. والغرض من هذا التفاعل الاجتماعي هو إكساب الفرد سلوكيات ومعايير واتجاهات تتناسب مع الأدوار الاجتماعية المحددة له داخل جماعته، والتوافق معها، وبذلك يصبح اجتماعيا في تعامله ويملك القدرة على مسايرة الحياة الاجتماعية والاندماج فيها.

وإذا كانت الأسرة هي النواة الأولى لعملية التنشئة الاجتماعية التي تتولى تنشئة أطفالها أو أفرادها في مراحلهم العمرية المختلفة، فهذا لا يعني أنها

---

1 Inkeles , Alex. Social Structure and child Socialization. Boston: little brown , 1968

2 خزاعلة، عبد العزيز. أمن الطفل العربي. ط1، الرياض: مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1999. (ص120)

المؤسسة الوحيدة التي تتولى عملية التنشئة الاجتماعية، فهذه العملية تتم من خلال عدة مؤسسات كالأسرة والمدرسة والرفاق والمسجد ووسائل الإعلام، وبالتالي فهي العملية التي يتم من خلالها تعليم وتدريب الفرد لأداء الأدوار المنوطة به اجتماعيا واقتصاديا وإنتاجيا على مستوى الأسرة والمجتمع..

ولا شك أن دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية اكتسب أهمية مضاعفة بالنظر إلى عمليات التغير الاجتماعي المتسارع التي شهدتها ولا تزال تشهدها الأقطار العربية، ثم ما تطرحه العولمة على الأمة العربية من فرص وتحديات جديرة بالتأمل والدراسة، وبقدر ما كانت عمليات التنمية والتغيير الاجتماعي تطرح على الأسرة مشاكل وتحديات تتعلق بتكوينها وتماسكها، ودورها في عملية التنشئة بقدر ما كانت هذه المشاكل والتحديات تبرز دور الأسرة العربية، وتؤكد أهمية الأدوار التقليدية التي يجب أن تقوم بها الأسرة العربية..

وفي عصر العولمة واللامركزية وما شهده العالم من تطورات هائلة في مجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات والسماوات المفتوحة أصبح العالم أشبه بقرية صغيرة وأصبحت الدول النامية تواجه إشكالية التعايش والتفاعل مع هذا العالم المتغير، من خلال تعليم وتأهيل الإنسان القادر على التفاعل الإيجابي والتعامل الواعي مع هذه التطورات ومحاولة تحقيق العدالة الصعبة التي تقتضي التعامل مع تحديات العولمة، وفي الوقت ذاته الحفاظ على الهوية الثقافية لهذه المجتمعات.

والواقع أن القضايا والإشكاليات التي تطرحها العولمة على عملية التنشئة الاجتماعية ودور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة لم تلق الاهتمام الكافي من البحث والدراسة، فمن الثابت أن العولمة تسهم في زيادة التباعد والتفاوت الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي والمعرفي بين الناس، كما أن

الآثار الاقتصادية المصاحبة للعولمة قد تدفع الحكومات في العالم الثالث إلى خصخصة بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالإعلام والتعليم أو على الأقل بعض المدارس والجامعات، وبالتالي تحجيم الرؤى التربوية، وفوق كل شيء وتحديد رؤية الأهداف التربوية، إذ تصبح الأهداف الإنسانية والثقافية والاجتماعية للتعليم على وجه الخصوص ثانوية بالنسبة للمعايير ذات الطابع الاقتصادي.

ومثل هذه التحولات إضافة إلى انفجار ثورة الإعلام والمعلومات والتدفق الحر للأخبار والمعلومات والصور والرموز عبر الحدود، سيؤدي إلى إضعاف بعض الأدوار التي كانت تقوم بها الدولة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، من هنا تبدو أهمية الاهتمام ببحث ودراسة أبعاد ووسائل دعم وتطوير دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية في ظل العولمة.

المبحث الثالث: دور الأسرة في الحفاظ على الهوية القومية

من المتفق عليه بين الباحثين أن العولمة بأبعادها المختلفة تعتمد على تجاوز الحدود السياسية وتجاوز الثقافات والهويات القومية وإضعاف سلطة الدولة الوطنية وإعلاء شأن اقتصاد السوق، ومثل هذه الأوضاع لا تعني تحقيق نوع من العالمية أو وحدة النوع البشري، بل على العكس قد تقود إلى هيمنة الثقافة الغربية، خاصة في ظل هيمنة واحتكار الدول الغربية والشركات متعددة الجنسية غربية المنشإ على إنتاج وسائل الإعلام، ووكالات الأنباء والصور، وشبكات الاتصالات والمعلومات، وفي ظل عجز وتبعية وسائل الإعلام العربية، واعتمادها المتزايد على وسائل الإعلام الغربية وعلى برامج ومضامين غربية. على أن أخطر التحديات هو ما قد تتعرض له المكونات الأساسية للثقافة العربية متمثلة في الإسلام واللغة العربية والوعي التاريخي بالذات والآخر، فمن الثابت أن عولمة الإعلام تعتمد على اللغة الإنجليزية،

كما أن صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي المهيمن على الساحة الدولية لا تعبر عن الواقع، بالإضافة إلى أن الإعلام الغربي يتعامل مع العرب بحكم علاقات الاستعمار والتبعية كأقطار متفرقة لا كأمة واحدة.

ومع ذلك، فإن التدفق الإعلامي والمعلوماتي من الشمال إلى الجنوب، وسطوة وبريق الإعلانات ونشر ثقافة الاستهلاك قد يوفر للمواطن العربي مصادر عديدة للمعلومات، ويفتح أمامه الطريق للتفاعل الحر مع ما يجري في العالم، لكن في المقابل هناك مخاطر التغريب وتهديد اللغة العربية، وطمس الهوية العربية، وقطع الصلة بين الأبناء وتراث أمتهم وتاريخها العريق، ولا شك أن الحفاظ على الهوية العربية والخصوصية الحضارية للأمة العربية هي من المهام الأساسية التي يجب أن تقوم بها مؤسسات التنشئة الاجتماعية بوسائل جديدة تتماشى مع ظروف ومتطلبات القرن الحادي والعشرين، وفي الوقت نفسه تكون قادرة على الاستجابة الواعية للآثار الملتبسة للعولمة سواء كانت فرصا أم تحديات وتهديدات. إن التربية العربية أمام هذا الواقع ليس مهمتها تكوين جيل يتغنى بثقافته العربية الإسلامية أو يجيد حفظ أصولها ومتونها، بل مهمتها تكوين فكر نقدي حر، قادر على أن يترجم الثقافة العربية الإسلامية إلى لغة العصر، وبالتالي بناء مركب ثقافي جديد قادر على أن يترجم الثقافة العربية الإسلامية إلى لغة العصر، وذلك من خلال متابعة الأبناء وسد منافذ الإغراء ونقاط الضعف، شرط أن يعي الأبوان بمركزية وأهمية دورهما، وبضرورة أن يتم الإشراف والتوجيه بأساليب تربوية تعتمد الحوار والنقاش بدلا من أسلوب التلقين.

وتجدر الإشارة إلى أنه على عاتق الأسرة العربية مهمة الحفاظ على الهوية القومية وتنميتها بفاعلية، وبوعي بحيث يكون الالتزام بتعاليم الإسلام

والاعتزاز باللغة العربية والتراث العربي جزءا أصيلا من الحياة اليومية داخل الأسرة يلتزم به الجميع قولا وفعلا، ويتخذون من هذا الالتزام وقواعده معايير أساسية لتقييم الثقافات الأجنبية الوافدة والتفاعل معها، ذلك أن الهوية الثقافية كما تقرر الخطة الشاملة للثقافة العربية ليست مركبا جامدا من الخصائص والقيم والتقاليد، ولكنها مجموعة من المشاعر والأفعال ومن السمات التاريخية والأبعاد الفكرية والفنية والروحية، ومن معطيات السلوك الحية النامية التغني بالحوار وبالتطور وبالأخذ والعطاء والإبداع الذاتي، فهي تتجدد وتعيد خلق ذاتها في إطار خصائصها لأنها في حركة داخلية مستمرة وتتغذى بالموروثات العريقة للمجتمع، وبالقدرات الداخلية الإبداعية فيه، كما تتغذى بالإسهامات الخارجية عن طريق الاستيعاب والتحوير والتمثل.

الفصل الخامس

تكنولوجيات الاتصال الحديثة

المبحث الأول: وسائل الإعلام

أولا: نشأة الإعلام وتطوره

تزداد أهمية الإعلام في المجتمع تبعا لسرعة توصيل الرسالة الإعلامية بالصوت والصورة والكلمة. فالتطور الذي طرأ على الأجهزة الإعلامية بالاعتماد على الأقمار الصناعية للبثّ الإذاعي والمتلفز، وطرأ على الطباعة والصف الإلكتروني، اختزل المسافات بين المناطق وألغى الحدود والفواصل بين الدول والشعوب، ويمكن اعتبار "الدخان" أول وسيلة اتصال إعلامي بين بني البشر. وتبعه الإعلام بواسطة الرموز والإشارات، ثم النقوش المقدسة، والحفر على الألواح الحجرية والطينية، مرورا باكتشاف الحروف وتطورها (الحرف الإغريقي ـ الهيراطيقي ـ والحرف الروماني..) ومن ثم الكتابة، فالطباعة، حتى دخلنا عصر الأقمار الصناعية والطباعة الإلكترونية.

يستمد الإعلام قوته من عاملين أساسيين، مادي ومعنوي، العامل المادي هو تطور وسائل الإعلام إذ إنّ سرعة نقل الخبر والتعليق عليه تزداد مع تطور أجهزة وسائل الاتصال، من الإشارات السلكية لماركوني، حتى الأقمار الصناعية اليوم. وقبل ذلك من انتقال الكتابة على ورق البردي... فالكتابة على اللفائف الصينية، ومن ثم على الورق البغدادي الذي نقله العرب إلى إسبانيا، ومنها إلى أوروبا، وبعد استخدام الورق كانت المطبعة التي اخترعها الألماني (يوحنا جوتنبرج) وتبع ذلك ظهور الصحف في القرن الخامس عشر، واليوم مئات الآلاف من الصحف يتم إصدارها في مناطق متفرقة من العالم، والتطور الذي تشهده وسائل الإعلام تم وفقا لحاجة الإنسان إلى الاتصال مع

الآخر. وقد قسم علماء الاتصال والإعلام المراحل التي مرت بها تكنولوجيا وسائل الإعلام إلى خمس مراحل وهي:

أولا:- المرحلة الشفوية: حيث كانت اللغة أول وسائل الاتصال التي استخدمها البشر، وأدى اعتماد الإنسان على اللغة كوسيلة اتصال أساسية له في هذه المرحلة إلى تطوير بعض الحواس والمهارات لديه ليحقق أفضل اتصال ممكن فأصبحت حاسة السمع لديه في أقوى حالاتها، واستخدم الذاكرة في تخزين المعلومات والمعارف، مما أدى إلى بلوغ مهارة الحفظ لديه أعظم مبلغ، وأصبح للكلمة قوة تعبيرية كبيرة، فالعقود والاتفاقات يتم الاتفاق عليها شفويا، وقوانين القبيلة ونظمها وتاريخها هي كلمات لابد من احترامها والالتزام بها. وكانت الشائعة هي أول شكل من أشكال الإعلام والاتصال، حيث كانت الأخبار تنتقل من الفم إلى الأذن، وبانتقالها كانت تغير وتشوه بحيث تضيع حقيقتها في أحيان كثيرة[1] .

ثانيا:- المرحلة الكتابية: مرت الكتابة بالعديد من مراحل التطور حتى وصلت إلى وضع أبجدية لغوية على يد الفينيقيين، ويعتقد أن اشتغال الفينيقيين بالتجارة وحاجتهم إلى كتابة عقود مدونة أو كتابة أصناف التجارة دفع بشكل كبير إلى اختراع مثل هذه الأبجدية.

ورغم أن الكتابة في بدايتها كانت محدودة التأثير على حياة الإنسان لقلة عدد الأشخاص الذين يستطيعون الكتابة والقراءة، إلا أنها بمرور الزمن واختراع وسائل جديدة سهلت عملية الكتابة كاختراع الورق في بلاد الصين وانتقاله إلى بلاد العرب ثم إلى أوربا، أخذت الكتابة تحتل مكانة مرموقة في حياة البشر وانتشر التدوين والتأليف في مختلف العلوم، وظهرت مهنة الوراقة، وبالتالي أصبح هناك دور لحفظ المخطوطات والكتب. وبمعرفة

1 نصر الدين العياض، إشكاليات الاتصال في عصر العولمة-، مرجع سابق

الكتابة والنسخ على وسائط متعددة ومختلفة تغير أسلوب التعبير والإنشاء، كما تغير أسلوب تخزين المعرفة حينما أصبحت المعلومات تختزن عن طريق الحروف الهجائية، وبهذا حلت العين محل الأذن كوسيلة أو كحاسة رئيسية ليكتسب من خلالها الإنسان معلوماته، وسهل الكلام البشري المنطوق الذي تجسد في شكل مخطوط أو مكتوب الطريق لإقامة تنظيمات إدارية وأشكال مختلفة من العلاقات[1].

ثالثا:- المرحلة الطباعية: بفضل اختراع آلة الطباعة حدث تغير جذري في أساليب التعبير والإعلام حيث بدأ الأفراد يعتمدون أساسا على الرؤية والكلمات المطبوعة في الحصول على معلوماتهم، وبذلك أصبحت حاسة الإبصار هي المسيطرة، والمطبوع حول الأصوات إلى رموز مجردة، أي إلى حروف، مما شكل عملية تجريد منظم للحروف أو الرموز البصرية [2].

فمنذ اكتشاف المطبعة ونشر أول كتاب مطبوع (مزامير منز) في عام 1457م وحتى نهاية القرن أي عام 1500 م تراوح عدد الكتب المطبوعة بين 15 و20 مليون كتاب، موزعة على 35 ألف طبعة، أي بمتوسط إنتاج يصل إلى 1300 كتاب يوميا[3].

رابعا:- المرحلة الإلكترونية: بدأت إرهاصات هذه المرحلة منذ منتصف القرن التاسع عشر باكتشاف وجود الموجات المغناطية، وما تبع ذلك من تجارب ومحاولات لاستغلال هذه الموجات حتى نجح العالم الإيطالي ماركوني في إرسال إشارات لاسلكية ومن ثم اختراع الراديو عام 1906م، وتوالت بعد ذلك المخترعات والمكتشفات التي ما لبثت أن حققت ثورة

---

1 نصرالدين العياض،: المرجع السابق.

2 محمود علم الدين، تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، مصدر سابق، ص23

3 سيرج برو، فيليب بروتون: ثورة الاتصال، ترجمة هالة مراد، (القاهرة: دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى، 1993)، ص47

اتصالية قلبت كل الموازين، وشكلت نقلة نوعية كبيرة في وسائل الاتصال الإنساني.

فخلال هذه المرحلة، ظهر التلغراف والتلفون والفونوغراف، ثم التصوير الفوتوغرافي، فالفيلم السينمائي، ثم الإذاعة المرئية (التلفزيون)، والتلكس، وصولا إلى الأقمار الصناعية والفاكس والفيديو وغير ذلك من وسائل الإعلام. وتظهر الحاسبات الإلكترونية وتتطور جيلا بعد جيل، حتى تصل إلى الجيل الخامس، وتدخل كل مجالات الحياة ومنها المجالات الإعلامية[1].

فقد أحدثت هذه المرحلة ثورة في نظم الإعلام وحولت العالم إلى قرية عالمية إلكترونية يعرف الفرد فيها بالصوت وبالصورة وبالكلمة المطبوعة كل ما يحدث وقت وقوعه.

إلا أن هذا الانفجار المعلوماتي جعل الإنسان العادي يعجز عن متابعة ما يحدث في العالم على مستوى الأحداث اليومية العامة، أو على مستوى التخصص العلمي أو المهني[2]

خامسا:- مرحلة الإعلام متعدد الوسائط: وتتسم هذه المرحلة بمزج أكثر من تكنولوجيا اتصاليه تملكها أكثر من وسيلة لتحقيق الهدف النهائي، وهو توصيل الرسالة إلى الجمهور المستهدف. وقد أطلق على هذه المرحلة العديد من المسميات من أبرزها: مرحلة الإعلام متعدد الوسائط Multimedia، ومرحلة التكنولوجيا الاتصالية التفاعلية Interactive، ومرحلة الوسائط المهجنة[3] Hypermedia.

وترتكز هذه المرحلة التي يمكن أن نطلق عليها أيضا اسم مرحلة الاتصال التفاعلي أو مرحلة الوسائط المتعددة على مجموعة من المرتكزات الرئيسية

---

1 محمود علم الدين: تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري مرجع سابق، ص24.

2 محمود علم الدين: المرجع السابق، ص8.

3 محمود علم الدين: المرجع السابق ص22

هي: الحاسبات الإلكترونية في جيلها الخامس، وأنظمة الذكاء الصناعي، إضافة إلى الألياف الضوئية وأشعة الليزر والأقمار الصناعية.

وأدى ذلك الحدث إلى تزاوج بين تكنولوجيا الإعلام وتكنولوجيا المعلومات حتى أصبح من العسير الفصل بين الاثنتين بسبب التطور الهائل الذي شهده مجال تقنيات الإعلام والمعلومات.

فقد جمع بينهما النظام الرقمي الذي تطورت إليه نظم الإعلام فترابطت مع شبكات المعلومات وهو ما نلمسه في حياتنا اليومية، وبذلك فقد انتهى عهد استقلال نظم المعلومات عن نظم الإعلام ودخلنا في عهد جديد للمعلومات والإعلام يسمونه الآن[1] (ComputerCommunication).

ويوصف العصر الذي يمر العالم المتقدم به الآن بأنه عصر أو مجتمع المعلومات Information Society أو مجتمع ما بعد الصناعة Post Industrial Society، (يتمادى البعض في تقدير التطورات التكنولوجية التي تحدث في العالم الآن خاصة في الإعلام والمعلومات، بحيث يوصف العصر الحالي في نهاية التسعينيات بمجتمع ما بعد المعلومات (Post Society of Information).

وقد لعبت المعلومات من خلال تكنولوجياتها وأساليب نقلها المختلفة أدوارا مهمة في مجتمعات المعلومات في اليابان وغرب أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، بحيث غيرت من شكل هذه المجتمعات وأثرت على كل مناحي الحياة فيها، حيث نجد مجموعة من الظواهر والسمات والآثار التي تراوحت بين التغيرات الجذرية والآثار البسيطة التي تركت آثارها على كل

---

1 نبيل عارف الجردي- (مقدمة في علم الاتصال) مرجع سابق، ص 20.

جوانب المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية والتكنولوجية[1].

كما تعتبر وسيلة الإنترنت من أفضل الأمثلة التي تطبق فيها تقنيات مرحلة الإعلام متعدد الوسائط، فبعد التغيير الكبير الذي طرأ على شبكة الإنترنت، منذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين، بفضل استخدام تقنيات وأساليب جديدة للتواصل ونشر المواد النصية والصور الثابتة والمتحركة عبر الإنترنت من خلال استغلال الإمكانيات التي يوفرها الدمج بين أجهزة الكمبيوتر وأجهزة الاتصالات، استطاعت وسائل الإعلام المختلفة أن تستغل هذه الإمكانيات الكبيرة في عرض موادها الإعلامية من خلال شبكة الإنترنت، فظهرت على الشبكة مواقع تبث البرامج التلفزيونية والإذاعية بشكل حي أو مسجل، وظهرت الصحف الإلكترونية التي تدمج بين المادة النصية والصوت والصور الفوتوغرافية وأفلام الفيديو في تقديم معالجاتها للأحداث المختلفة، وبذلك يتوفر لمستخدم الإنترنت مجموعة من وسائل الإعلام من خلال جهاز واحد، وهو ما أدى إلى زيادة كبيرة في عدد مستخدمي الشبكة.

وأصبح المظهر الأساسي لتطور الإعلام والأكثر بروزا في حياتنا المعاصرة هو السرعة: سرعة تدفق الأخبار والمعلومات وتداولها، فعندما اغتيل الرئيس الأمريكي " أبراهام لنكولن" في أبريل سنة 1865 استغرق وصول خبر مقتله ستة أشهر حتى يعم الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وعندما اغتيل الرئيس الأمريكي في 1963 وصل خبر مقتله إلى جل الأمريكيين خلال الساعة التي تم فيها، أما عندما تم تنفيذ حكم الإعدام في الرئيس الروماني نيكولاي شاوشيسكو في ديسمبر 1989 فقد علم الشعب بالخبر في الدقيقة التي حدث فيها بفضل البث التلفزيوني المباشر، وعندما تمت محاصرة مجلس

1 المرجع السابق نفسه. ص 28

الدوما الروسي للإطاحة بالرئيس الروسي السابق "يلتسين" علم مستخدمو الإنترنت بالحدث في الثانية ذاتها! لقد أصبح الإعلام يملك سرعة الإنترنيت على حد تعبير صحافيي الصحيفة الفرنسية " Le monde [1]" Diplomatique وعلى الرغم من المكاسب التي حققتها تقنيات الإعلام في سرعة نقل المعلومات وتوسيع الوسائل إلا أن خبراء الإعلام يتوقعون أن تزيد التقنيات الاتصالية الحديثة من العزلة التي أصبح يعاني منها البشر نتيجة اعتمادهم على تقنيات المرحلة الإلكترونية. فالإنسان الآن أصبح بإمكانه التسوق وشراء الكتب وقراءة الصحيفة وربما الذهاب إلى العمل وهولا يزال جالسا أمام شاشة الكمبيوتر المتصل بشبكة الإنترنت، وبنقرة واحدة، يمكن التجول حول العالم دون الحاجة إلى الحصول على تأشيرة دخول إلى أي دولة أو حتى تكبد مشاق السفر، وهو ما سيؤدي إلى نشوء علاقات جديدة تتسم بالطابع الإلكتروني بين الإنسان والآلة وبين البشر بعضهم ببعض.

إن الإعلام في عالم اليوم أصبح الصوت القوي للشعوب للتعبير عن قضاياها، وقد تعددت وظائفه واستخداماته المتعددة لتحقيق وظائفه نحو المجتمع مثل: الأخبار والمعلومات والتعليم والتعبئة وخلق الرأي العام والترفيه والتواصل بين الأفراد ووظيفة الرقيب العمومي، وقد ضاعف ذلك من أهمية الإعلام وتحريضه الجماهير للاستفادة من التكنولوجيا لتحقيق الرسالة المرجوة منه، خاصة أن الإعلام تتعاظم أهميته إلى الدرجة التي كتب فيها الرئيس الأمريكي الأسبق (توماس جيفرسون) عام 1787: "لو ترك لي الخيار بين أن تكون لنا حكومة من دون صحف، أو صحف من دون حكومة، فلن أتردد في اختيار الثاني" [2].

---

1 نصر الدين العياضي: إشكاليات الاتصال في عصر العولمة، مصدر سابق

2 Into The News Room- Room- Leonard R. Teel and Ron Taylor Prentice-Hall of India-1985.

2-وسائل الإعلام وإعادة مونتاج الأفكار والذهنيات:

يعتبر الإعلام الأداة الرئيسة في عملية الاتصال الجماهيري التي توسعت آفاقها وزادت أبعادها وتشعبت مجالاتها مع الثورة المعلوماتية والاتصالية والتكنولوجية الحديثة، بما لم تشهده البشرية منذ بواكيرها وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين. والإعلام من هذه المقاربة يعتبر في نظر أصحاب التخصص (عملية النشر وتقديم المعلومات الصحيحة والحقائق الموضحة والأخبار الصادقة والموضوعات الدقيقة والوقائع المحددة والأفكار المنطقية والآراء الراجحة للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام. ويقوم على مخاطبة عقول الجماهير وعواطفهم السامية وعلى المناقشة والحوار والإقناع بأمانة وموضوعية) [1]"

لم تلبث أميركا من جانبها - وهي إلى حد كبير موطن التكنولوجيا المتقدمة والكشوف والمخترعات التي هيأت لتفجر ثورات المعلوماتية والاتصال - أن طورت نظرية الحرية بتحديدها ووضع القيود عليها بدعوى تدخل الشركات العملاقة والتلاعب بالحقيقة "المتلاعبون بالعقول، عالم المعرفة الكويت 243" التي انتقل احتكارها من يد الدولة إلى يد تلك الشركات. فوضعت مجموعة من المبادئ جعلتها تخضع للمساءلة من قبل الحكومة والشعب في حال تجاوزها لها. ومن هنا أطلق على هذه النظرية الإعلامية (نظرية المسؤولية الاجتماعية)[2].

ومع تفجر المعرفة والثورات المعلوماتية والاتصالية بدأت الجهات التي تملك أدوات الإعلام ووسائل إنتاج المواد الإعلامية كالغرب وفي مقدمته أمريكا (تحتكر) الإعلام مما أفسح المجال (للتدفق والإغراق الإعلامي) باتجاه

1 حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، القاهرة 1970".

2 عصام موسى، المدخل في الاتصال الجماهيري، 1986 عمان".نظرية إعلامية جديدة!

واحد مما أصبح العالم الأول معه مرسلا والعـالم الثالـث مسـتقبلا، وهـذا بـدوره حـرر الإعلام الغربي الحديث مع عمليات البث الفوري الشـامل والصـفة الإغراقيـة الجائحـة مع مطلع القرن الجديد من حصر نفسه بالنقل الموضوعي المحايد للأخبار، بـل أصـبح ينقل المـواد ذات المحتـوى الـدعائي السـياسي، فاتسـم بالقصـدية حيـث شرعـت تلـك الجهات بإشاعة وترويج ثقافتها وقيمها ونظمها بذريعة عولمة الإعلام.[1] .

ومـع تطـور تكنولوجيـا المعلومـات ووسـائل الإعـلام السـمعية والبصريـة والأقـمار الصـناعية والصـورة الإلكترونيـة وأجهـزة الاتصـال الحديثـة... أصـبح الإنسـان يتلقـى المعلومة التي تؤثر عليه بكل لحظة ومـن كـل مكـان في العـالم، حتـى وصـفت بعـض الحروب الحديثة بأنها (أول حرب متلفـزة في التـاريخ الـبشري) يـتم نقلهـا ببـث حـي ومباشر وبالصوت والصورة فورا وإلى كل موقع على خارطة الكرة الأرضية!!

فلا أحد ينكر إذن التطورات الحديثة والمتسارعة في مجال التقنية، وخصوصا ما يتعلق منها بالحاسب عموما وشبكة الإنترنت خصوصا. وقد قدمت تلك التقنيـات آفاقا جديدة في مجال الإعلام والنشر لم تكن معروفة من قبل وأفرزت أساليب غير تقليدية في نقل المعلومات، لعل من أهمها الـنشر الإلكـتروني، إذ يـرى أن الاتصـال يقوم على تبادل المعاني الموجودة في الرسائل، التي من خلالها يتفاعـل الأفـراد مـن ذوي الثقافات المختلفة، وذلك مـن أجـل إتاحـة الفرصـة لتوصـيل المعنـى، وفهـم الرسالة، ويتم من خلال ذلك تحقيق معان مشتركة (متطابقة) بين الشـخص الـذي يقوم بالمبادرة بإصدار الرسالة من جانب والشخص الذي يستقبلها من جانب آخر، نظرا لاختلاف ظروف العالم النامي التي ظهرت إلى الوجود في منتصف هذا القـرن هي بالتالي تختلف عن الدول المتقدمة من حيث الإمكانيات المادية والاجتماعيـة،

1 عاهد مشاقبة، الأبعاد السياسية للتدفق الإعلامي، عمان 2002".

كان لابد لهذه الدول من نموذج إعلامي يختلف عن النظريات التقليدية المتعارف عليها (الاشتراكية، المسؤولية الاجتماعية، الحرية ونظرية السلطة)، ويناسب هذا النموذج أو النظرية أو الأوضاع القائمة في المجتمعات النامية، فظهرت النظرية التنموية في عقد الثمانينيات، وتقوم على الخروج عن نطاق بعدي الرقابة والحرية كأساس لتصنيف الأنظمة الإعلامية، فالأوضاع المتشابهة في دول العالم الثالث تحد من إمكانية تطبيق نظريات الإعلام التقليدية، وذلك لغياب العوامل الأساسية للاتصال كالمهارات المهنية والمواد الثقافية والجمهور المتاح، إذ إن مبادئ نظرية التنمية تعمل على تأكيد الهوية الوطنية والسيادة القومية والخصوصية الثقافية للمجتمعات؛ وعلى الرغم من أن هذه النظرية لا تسمح إلا بقدر قليل من الديمقراطية حسب الظرف السائدة إلا أنها في نفس الوقت تفرض التعاون وتدعو إلى تضافر الجهود بين مختلف القطاعات لتحقيق الأهداف التنموية. وتكتسب النظرية التنموية وجودها المستقل من نظريات الإعلام الأخرى باعترافها وقبولها للتنمية الشاملة والتغيير الاجتماعي، وتشترك نظرية التنمية في مفهومها مع نظرية المشاركة الديمقراطية التي أحدثت إضافة لنظريات التنمية في الدول النامية وأصعبها تحديدا، فقد برزت هذه النظرية من واقع الخبرة العملية كاتجاه إيجابي نحو ضرورة وجود أشكال جديدة في تنظيم وسائل الإعلام. فالنظرية قامت كرد فعل مضاد للطابع التجاري والاحتكاري لوسائل الإعلام المملوكة ملكية خاصة، كما أن هذه النظرية قامت ردا على مركزية مؤسسات الإذاعة العامة التي قامت على معيار المسؤولية الاجتماعية وتنتشر بشكل خاص في الدول الرأسمالية.[1]

فإن النقطة الأساسية في هذه النظرية تكمن في الاحتياجات والمصالح والآمال للجمهور الذي يستقبل وسائل الإعلام، وتركز النظرية على اختيار

---

1 نصر الدين العياضي، "وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع" آراء ورؤى، مجموعة دراسات جمعها وترجمها المؤلف، دار القصبة للنشر - الجزائر 1999م ص 26.

وتقديم المعلومات المناسبة وحق المواطن في استخدام وسائل الاتصال من أجل التفاعل والمشاركة على نطاق صغير في منطقته ومجتمعه، وترفض هذه النظرية المركزية سيطرة الحكومة على وسائل الإعلام ولكنها تشجع التعددية والمحلية والتفاعل بين المرسل والمستقبل والاتصال الأفقي الذي يشمل كل مسؤوليات المجتمع؛ ووسائل الإعلام التي تقوم في ظل هذه النظرية سوف تهتم أكثر بالحياة الاجتماعية وتخضع للسيطرة المباشرة من جمهورها، وتقدم فرصا للمشاركة على أسس يحددها الجمهور بدلا من المسيطرين عليها.

إن عملية تحديد الوسائل والهدف الذي يتصل أو يرتبط به القائم بالاتصال بالآخرين يزيد من فاعلية نشر الأفكار على ضوء النظريات التي توافق مجتمعات الدول النامية، ويكون من الضروري وضعه في الحسبان أهم العناصر التي تكمل رسالته مثل الرسالة، الوسيلة والهدف الذي يصبو إلى تحقيقه عبر نشره لأفكار لم تكن سائدة، وتلقى تجاوب الجمهور المتلقي لذلك.. إذن، لابد من وجود شخص أو هيئة أو فئة أو جمهور يهتم بالمعلومات فيمنحها أهمية على أهميتها، ويكون الاتصال عن تلك العملية الإعلامية التي تتم بين ميدان المعلومات وبين ميدان نشرها أو بثها.

وعليه، فلا يخفى مدى ما أصبح لوسائل الإعلام الحديثة من قوة تأثير كبيرة على الناس في العقود الأخيرة وأصبحت وسيلة لا تفارقه لحظة، يعتمد عليها كمصادر رئيسية للمعلومات التي تأخذ أشكالا متنوعة من الكلمات والصور والإيحاءات التي تعكسها الموسيقى والأغاني وغيرها. وبالمقابل، وكما أصبح الانسان قادرا على المتابعة الفورية في أي مكان، فإن الوسائل الإعلامية بدورها أصبحت قادرة على الوصول إلى ملايين الناس في اللحظة الواحدة، مما أصبح معه العالم (قرية إلكترونية)، وغدت الدنيا كلها في متناول بصر الإنسان وسمعه!

المبحث الثاني: التكنولوجيا وضعف العلاقات الأسرية

منذ وجد الإنسان على البسيطة - الأرض - وهو يتحرك بمحرّكات تحرّكه، منها محرك القيم؛ حيث يحدّد علاقاته مع غيره من بني جنسه، وقد يكتسب الطفل قيمه من الأسرة، ثم المدرسة، ثم المجتمع في الماضي، وأصبحت هناك بدائل لهذه المؤسسات الاجتماعية، بل وتراجعت هذه المؤسسات بدرجة كبيرة، وحلّ محلّها أجهزة التكنولوجيا في تربية الأبناء..

ولكن، هل أدى التطور والغزو التكنولوجي الحديث والتنافس الحالي على تقديم خدمات تكنولوجية للأسر العربية إلى القضاء على العادات والتقاليد والتفاعلات الاجتماعية الحقيقية والصادقة كالزيارات واللقاءات العائلية والأسرية؟ وهل يمكن القول إن الصلات والمشاعر الصادقة والحقيقية العميقة الراسخة بين أفراد الأسرة العربية قد أسهمت تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تقليصها وأن تستبدل بها مشاعر إلكترونية سريعة عبر كلمات البريد الإلكتروني والتخاطب عبر الإنترنت (الشات) والرسائل النصية وتبادل الصور الرقمية والفيديو عبر الإنترنت ورنات الهواتف الجوالة؟ وهل الاتصال والصداقات بين الأفراد عبر الشبكات الاجتماعية والهواتف الجوالة صداقات حقيقية أم زائفة؟

"لقد اصبحت وسائل التكنولوجيا مدعاة للهروب من التعامل المباشر، وإقامة العلاقات الاجتماعية، بادّعاء الانشغال بها، وإنّ ضعف هذه العلاقات وندرة القيام بالزيارات الاجتماعية، يضعف التحاور، وتبادل الخبرات والمشاعر، وتستبدل الرسائل القصيرة بها، تقول: "كل عام وأنتم بخير - رمضان كريم - عظّم الله أجركم - وغيرها"؛[1]

1 "مجلة الفرقان الإلكترونية".

ولأن الإنسان اجتماعي بطبعه؛ إذا ضعفت علاقته بأفراد أسرته، وجد البديل في جهاز التلفاز وغيره من أجهزة التكنولوجيا، وعرف أنّ هذه الأجهزة حلّت مكان الأبوين للأبناء، لكثرة مكوث الأبناء أمام هذه الأجهزة والتفاعل معها، في حين إن التعامل مع هذه الأجهزة يضعف علاقة الأبناء بوالديهم، وتنتشر أمراض نفسية بينهم؛ مثل: الاكتئاب، والعزلة، والانطوائية، والتمرد على قيم المجتمع، وقواعد الدين، فتراجع القيم استبدل بقيم أجهزة التكنولوجيا من منطلق أن التكنولوجيا تحمل أيديولوجيا صانعيها!

ولقد بيّنت الدراسات النفسية أن أكثر الأفراد تعرضا لخطر الإصابة بمرض إدمان الإنترنت، هم الأفراد الذين يعانون من العزلة الاجتماعية، والفشل في إقامة علاقات إنسانية طبيعية مع الآخرين، والذين يعانون من مخاوف غامضةٍ، أو قلة احترام الذات، الذين يخافون من أن يكونوا عرضة للاستهزاء، أو السخرية من قبل الآخرين، هؤلاء هم أكثر الناس تعرضا للإصابة بهذا المرض؛ وذلك لأن العالم الإلكتروني قدّم لهم مجالا واسعا لتفريغ مخاوفهم وقلقهم، وإقامة علاقات غامضة مع الآخرين، خاصة بالنظر إلى سمة الخصوصية والكتمان التي توفرها لهم هذه التقنيات التي توفر عنهم عبء المواجهة التي تفرضها عليهم العلاقات الواقعية.

وفي ذات السياق، توصّل فريق بحثي أمريكي من جامعة "يونغ بريغهام" إلى أنّ قضاء وقتٍ سعيدٍ مع الأهل والأصدقاء، يقلّل من خطر الموت المبكر بنسبة 50%، وصرّح أعضاء الفريق بأن العلاقات الاجتماعية القوية مفيدة للصحة؛ مثل: التوقف عن التدخين؛ حيث إن ضعف العلاقات الاجتماعية يوازي تدخين 15 سيجارة في اليوم، وإن تراجع الحياة الاجتماعية يعادل معاناة إدمان الخمر، وتأتي أهمية العلاقات الاجتماعية في أنها تزيد في صحة الإنسان أفضل من اللقاحات التي تمنع الإصابة بالمرض؛ ذلك أن الإنسان

خلق كي يعيش مع غيره، وأن عزلته عن الناس تسبّب له أمراضا نفسية وصحية.

وخلص الفريق البحثي إلى أنه: على الرغم من زيادة وسائل الاتصال والمواصلات، فإن المجتمع لا يعيش أفراده التواصل الاجتماعي[1]

وجاء استطلاع أجري من قبل مؤسسة "بيو إنترنت" في عرض آراء نحو "2252" أسرة، وخلص إلى "أنّ الأسر التقليدية تواجه ضغوط الحياة العصرية المتزايدة، باستخدام الهواتف المحمولة، والبريد الإلكتروني، والرسائل النصية للبقاء على اتصال".

وقال 53% ممن شملتهم الدراسة: إنّ التقنيات الحديثة ساعدتهم على البقاء على اتصال مع أقاربهم، الذين تفصلهم عنهم مسافات بعيدة. وذكر 47%: أنها حسّنت من تفاعلاتهم مع من يعيشون معهم. وأفاد 47% آخرون: بأن التكنولوجيا الحديثة ليس لها أي أثر.

وذكر 2%: أنها أدّت إلى انخفاض جودة التفاعل بين أفراد الأسرة؛ "موقع منتديات جي سوفت الإلكتروني.[2]

ومن أشكال ضعف العلاقات الأسرية:

1-ضعف علاقة الطّفل بأمّه وأبيه:

لم تكن علاقات أفراد الأسرة ضعيفة بين الكبار في الأسرة، بل كذلك بين الصغار وذويهم؛ ذلك أن علاقة الطفل والرضيع أصبحت ضعيفة بأمه وبأبيه؛ "دراسة سبتي".

---

1 "موقع البوابة، albawaba، 2010".

2 موقع الاستفتاءات العربية Arab Polls".

أشارت إحـدى الدّراسـات إلى مشـكلة تعلـق الطفـل بالمربّيـة التـي تتـولى أمـوره، ويكون هذا التعلق في سن 3 - 4 سنوات من عمر الطفل، ومن ثمّ يكبر ويزداد تعلّقـه بها، وينتهي عقد الخادمة، وتعود من حيث أتـت، فتختفـي فجـأة مـن حيـاة الطفـل، وتأتي خادمة أخرى، فيدخل الإحباط في نفسه، وتضعف العلاقـة بـين الطفـل وأمـه؛ إذ غالبا ما يكون التعلّق - من جانب الطفل - بالمربية، وليس بالأم، حيـث تقـوم بإشـباع الحاجات الأساسية للطفل من المأكل، والمشرب، ونظافة الجسم عنـد الابـتلال، وتشـبّع حاجاته إلى الراحة واللعب، ومن ثمّ فهي أم بديلة، وفي هذا ما يبعـد الطفـل تـدريجيّا عن الأم، بل قد لا يسأل عنهـا عنـد غيابهـا، أو وجودهـا في المنـزل، والأعجـب أنـه قـد ينزعج إذا لم يجد المربية، أو الخادمة بجانبه، عنـدما تنشـغل عنـه عنـد أداء وظائفهـا الأساسية في المنزل، وأحيانا قد يناديها كما لو كانت أمه.[1]

وكشفت الدراسة التي صدرت أخيرا في كتاب بعنوان: "المرأة السعودية والخادمـة" - من تأليف سلمان بن محمد العمري - أنّ غياب الأسرة المتواصل عن المنـزل أدّى إلى ضعف عملية التّنشـئة الاجتماعيـة للأبنـاء ذكـورا وإناثـا، وتشـير الدّراسـة إلى أنّ أهـمّ المشكلات التي تواجه الأسرة - في ظلّ الاعتماد الكلي على الخدم - انصراف الطّفل عـن أمه، وتعلقه بالخادمة.[2]

وكذلك مكوث الأطفال لمشاهدة أفلام كرتونيّة لمدة طويلة، تجعلهم ينعزلـون عـن والديهم؛ خاصة إذا أدمن الأطفـال مشـاهدة أفـلام الكرتـون، ولعـل الكبـار يشـجّعون هؤلاء الأطفال على مشـاهدة هـذه الأفـلام؛ كي يتخلّصـوا مـن مشـكلاتهم وأذيّـتهم في المنزل.

---

1 مقال تأثير الخادمات على لغة الطفل، د. توفيق الرقب، جامعة الملك سعود 2009 موقع Knol وحدة المعرفة

2 "الشرق الأوسط، العدد 9165، يناير 2004"

وبعد ظهور جهاز "الأيباد" المخصّص للصّغار، بدأ أولياء الأمور يشكون من هذا الجهاز، الذي سلب منهم أولادهم، وجعلهم يفضّلونه على الدراسة اليومية، وكتابة الواجبات المنزليّة.

2-ضعف علاقة الحدث المراهق أو الشاب بوالديه:

لقد أثّرت شبكة الإنترنت على الأطفال والشباب وجعلتهم منعزلين؛ لما تعرضه هذه الشبكة من برامج تجعل الطفل أو المراهق أو الشاب يبتعد عن والديه، ويقضي ساعات طويلة أمام هذه الشبكة، وظهر ما يعرف بـ(إدمان الإنترنت)، ومن مخاطر هذا الإدمان: الانعزال، وترك الحياة الاجتماعية لهذا المدمن، ونتيجة قضاء ساعات طويلة أمام شبكة الإنترنت فسنجد الشابّ أو المراهق لا يختلط بالناس ولا يعاشرهم، وسيصبح منعزلا متعودا على الانعزال الاجتماعي، على الرغم من أنه كان يحب العشرة والمعاشرة الاجتماعية قبل الإدمان؛ [1]

دراسة نشرتها جريدة السياسة الكويتية، وهي دراسة عن التّحديات التي تؤثّر على صحّة الشباب، ووضع البرامج والاستراتيجيات المناسبة للتعامل مع هذه التحديات المهمة، وهي ليست تحدّيات صحية فقط، ولكنها تحديات اجتماعية أيضا، حيث إن الجيل الجديد يمضي الساعات الطوال أمام أجهزة الكمبيوتر، ويجد ضالته في التواصل مع غيره عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فيجلس الشباب لأوقاتٍ غير محدودة أمام أجهزة التواصل، ويستفيدون من تكنولوجيا التواصل والمعلومات، وفي المقابل، فإنّ هذه الساعات تعني العزلة الاجتماعيّة عن الأسرة، وتعني الخمول الجسماني،

---

1 دراسة " الفرارجي، 2011"

دراسة: إدمان استخدام الإنترنت، عباس سبتي، الكويت 2011.

وتعني الضغط والتوتّر النّفسي، فضلا عن التأثيرات السّلبيّة علـيهم نتيجـة الـدخول إلى المواقع غير البريئة واللا أخلاقية.

3-ضعف علاقة الزوجين بسبب الهاتف المحمول:

نتيجة انشغال الزوج بالعمل خارج المنزل؛ فإنه لا يستطيع أن يـتخلى عـن الهـاتف المحمول، الذي يأخذ جلّ وقته حتـى في منزلـه، ولا يسـتطيع أن يتحـدّث مـع زوجتـه بعض الوقت.

تقول إحدى الزوجات: لا توجد ساعة خلوة لي ولزوجي، نناقش فيها بعض الأمـور الخاصة أو الأسرية؛ لأنّ طبيعة عمله تتطلّب أن يبقى هاتفه يعمل طوال الوقت، فـما إن نبدأ الحوار، أو تناول الطعام أو الذهاب للنوم، حتى تنهال عليه الاتصالات التـي لا تحمل في غالب الأحيان أمورا مسـتعجلة أو خطـيرة، وأجـد زوجـي يتحـدث لسـاعات طويلة خلال وجوده في البيت، أعرف أن هذا من طبيعة عمله، ولكني أعتقد أيضا أنه يبالغ في عدم قدرته على إغلاق الجوال.[1]

إن إدمان بعض الأزواج استخدام الإنترنت يؤدّي إلى العزلة عـن أسرهـم، ويحبّـون الوحدة والانطواء، ويهملون شؤون أسرهم.[2]

3- ضعف العلاقة بين أفراد الأسرة بسبب التلفاز:

يعتبر التلفزيون من بين أهم الوسائل التكنولوجية تأثيرا على الفـرد، ويعـترف كثـير من الناس بقوة الجذب والإثارة التي يحدثها فيهم هذا الجهد كما ونوعا.

---

1 مجلة الفرقان الإلكترونية، "التكنولوجيا وأثرها على العلاقات الاجتماعية"، 2008.

2 المشكلات الأسرية المترتبة على إدمان الإنترنت، فاطمـة سـعيد أحمـد بركـات، جامعـة 6 أكتـوبر 2009

تقول إحدى الزوجات: "أنادي على زوجي، أو على أبنائي مراتٍ ومراتٍ، سواء لتناول الطعام، أم الدراسة، أم مساعدتي في شيء ما، ولكن لا مجيب! إنهم (متسمّرون) أمام جهاز التلفاز أو الحاسوب، فأضطرّ إلى الصراخ، والتوتر، نتيجة عدم الاستجابة، حتى إن حجرة الطعام لم نعد في حاجة إليها؛ لأن الجميع يحمل طعامه، ويذهب للجلوس أمام التلفاز.[1]

وتشتكي إحدى الزوجات من أن زوجها يشاهد أفلاما فاضحة طوال الليل، هذا الأمر سوف يؤدّي إلى ضعف العلاقة بين الزّوجين، بل قد يؤدّي إلى الطلاق.[2]

هذه قصة من القصص حول تدهور العلاقة بين الزوجين بسبب أجهزة التلفاز أو الفضائيات، وحتى شبكة الإنترنت فتحت المجال كي يعقد أحد الزوجين أو كلاهما علاقاتٍ مشبوهة مع الجنس الآخر، ولهذا، فلن تظل العلاقات الزوجية على ما يرام.[3]

ظهرت مشكلة هروب الفتيات من أسرهنّ في الدول العربيّة، وقد تناولت الدراسات أسباب هذا الهروب، ومنها: ضعف العلاقة بين الأبوين والفتاة، وغياب الحوار، وتأثّر البنت بالفضائيات، وببطلات الأفلام اللاتي يعتمدن على أنفسهن.[4]

---

1 "مجلة الفرقان الإلكترونية، 2008".

2 مجلة الأسرة العدد 151".

3 غرفة الدردشة سلبيات، حلول "، عباس سبتي، الكويت 2010."

4 "هروب الفتيات أسبابه وعلاجه"، عبد الحميد الجلال، صحيفة الجزيرة 2012.

ويشير الدكتور "شريف درويش اللبان" - أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة - في دراسته "تكنولوجيا الاتصال" إلى المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية"، موضحا أن كل فرد في الأسرة أصبحت له وسائل اتصال خاصّة به، منفصلة عن الآخرين.

وضرب المثال على ذلك: أنه خلال حقبة التسعينيات من القرن الماضي كان 54% من المراهقين الأمريكيين، الذين تتراوح أعمارهم بين 14 و15 عاما، لديهم أجهزة التلفزيون الخاصة بهم، وكذلك كانت سماعات الأذن - التي يستعملها الشباب - تضمن لهم عدم سماع أفراد الأسرة الآخرين ما يسمعونه.[1] وهذه السماعات تعزلهم بالطبع عن أفراد أسرهم.

المبحث الثالث: تكنولوجيا الاتصال٠٠٠ الوجه الآخر للضرر

يقول الدكتور جراي سمول - من جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس - في تصريح له: "إنّ التعرّض اليومي للتكنولوجيا الرّقمية؛ مثل: الهواتف المحمولة، والإنترنت، قد يغيّر من الطريقة التي تعمل بها عقولنا، وبرّر "سمول" هذا بأننا عندما نقضي وقتا طويلا في التعامل مع الوسائل التكنولوجية - وعلى الجانب الآخر نقضي وقتا أقل في التعامل مع الأشخاص الحقيقيين - فإنه يجعلنا نفقد تدريجيّا المهارات الأساسية في التعامل الاجتماعي مع الناس، كما نفقد القدرة على قراءة وفهم التعبيرات على وجوه الناس، التي تظهر أثناء المحادثة معهم.

ويضيف "د. سمول" في ذات السياق: إن الوصلات العصبيّة في المخ - المسؤولة عن التعامل مع العلاقات التي تتم وجها لوجه - تصبح أضعف،

1 "موقع المعلومات للجميع الإلكتروني، 2011 "،

ويؤدّي هذا إلى أن يصبح الشخص أقل لباقة في التعاملات الاجتماعية، وأقل قدرة على التعامل مع الناس، ويؤدّي هذا به إلى العزلة الاجتماعية.[1]

يعاني كثير من الأطفال - الذين استطلعت آراؤهم - بعض الآلام، نتيجة لمشاهدة التلفاز في:

الرأس "الصداع"، العيون، الرقبة، الكتف، الظهر، الركبة، القدم.[2]

وفيما يلي، أهم الأجهزة الاتصالية وعملها:

1- الأقمار الصناعيّة:

هي جهاز من صنع بشري يدور في فلك في الفضاء الخارجي حول الأرض أو حول كوكب آخر، ويقوم بأعمال عديدة مثل الاتصالات والفحص والكشف.

"قام البرلمان الروسي بتطوير نظام التلفزيون فائق الدّقّة من خلال الأقمار الصناعيّة، وكان معنى ذلك أنّ المواطن في الاتحاد السوفيتي، كان يستقبل معلومات من خارج حدود دولته، والحكومة - بموافقتها على دخول هذه المعلومات دون رقابة إلى البلاد - أعطت في الواقع الضوء الأخضر لتغيير بنية وأفكار الناس، ولعل هذا السبب ساعد على تفكّك جمهوريات الاتحاد السوفييتي.[3]

---

1 "موقع منتديات جي سوفت الإلكتروني".

2 كتاب ولدك والتلفاز، عدنان الطرشة"

3 "جريدة الشرق الأوسط، العدد 5533، 10 / 8 / 1414 هـ".

هذه الأقمار ربطت دول العالم بعضها ببعض، وصار العالم "قرية كبيرة"، وانتشرت الأفكار، حتى إنَّ القيم والثوابت المجتمعيّة - التي تتّفق مع الفطرة الإنسانيّة - انهزمت أمام القيم الدخيلة والشيطانية، وبالتالي فالشيطان يريد أن يوقع بين الناس العداوة والبغضاء من خلال ضعف العلاقات الاجتماعية، وبث الأقمار سمومها خلال ما يعرف بـ"الفضائيات".

2- غرفة الدردشة:

غرفة الدردشة أو المحادثة أو الشات (Chat) كما في الإنجليزية، عبارة عن إدارة الحديث بين أكثر من متحدث ومستمع من خلال شبكة الإنترنت حول قضية ما أو لغرض آخر، وقد شبه بعضهم هذه الغرفة مثل المؤتمر الذي يدار عن طريق الدائرة التلفزيونية المغلقة، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، وقد يكون النقاش عن طريق البريد الإكتروني أو ما يسمى " الأيميل " أو الرسائل النصية. وأقدم شكل من أشكال غرف الدردشة هي التي تعتمد رسائل نصية متنوعة، وقد تستخدم بعض الغرف بعض الأيقونات التي تحسن بيئة التواصل بين المتحدثين، وقد ظهرت دراسات تتحدث عن سلبيات غرف الدردشة أو الشات على الرغم من وجود ضوابط وتعليمات لضبط المناقشة، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور هذه السلبيات، حيث تعتبر " وسيلة من وسائل التكنولوجيا التي تساعد على ضعف العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة؛ فمن سلبيات غرفة الشات Chat: العزلة الاجتماعية، الناتجة من إفراط الشباب في استخدام الإنترنت، وبالذات غرف المحادثة؛ مما يجعل الشاب منعزلا عن محيطه الاجتماعي؛ حتى إنه قد لا يعرف سوى الأصدقاء والصديقات الوهميين الموجودين في غرفة المحادثة؛ هذه العزلة، لها آثار سيئة على الشباب، منها: الانشغال عن الدراسة والرسوب، أو الانقطاع

عن الدراسة، أو ضياع مستقبله الدراسي، وضعف الروابط الاجتماعية بينه وبين أفـراد أسرته.".[1]

3-الفيسبوك:

يعتبر الفيسبوك إحدى وسائل الاتصال الاجتماعي الحديثة التي ساعدت على ربـط العديد من الناس مهما اختلفت مواقعهم وأماكنهم وأوقـاتهم وأعمالهـم، وهـو موقـع إلكتروني، تملكـه شركـة الفيسـبوك المسـاهمة العامـة. تتعـدد الجهـات التـي تسـتخدم الفيسبوك في الوقت الحالي وتتعدد الأغراض أيضـا، فقـد يسـتخدم الفيسـبوك لأغـراض تعليميـة أو سياسـية او اجتماعيـة أو لقيـادة حمـلات توعويـة مجتمعيـة أو لأغـراض ترفيهية أو للعلاقـات الاجتماعيـة أو للتجـارة والدعايـة والإعـلان.. فقـد ارتـبط موقـع التواصل الاجتماعي الفيسبوك في كافة مناحي وأمور الحياة ومتطلباتها، لمـا وفـره مـن سهولة في تكوين القاعدة الجماهيرية المطلوبة لأي عمل من هذه الأعـمال، ولمـا وفـره أيضا من سهولة في نشر الآراء والأفكار والانشطة التي تصـل إلى مختلـف النـاس مهـما كانت شرائحهم وفي أسرع وقت ممكن.

ولقد حذّر علماء وبـاحثون مـن إدمـان الشـباب والأطفـال لأجهـزة التكنولوجيـا - خاصة شـبكة الإنترنـت - وبالخصـوص صـفحة "الفيسـبوك"؛ حيـث إنهـا تعـزلهم عـن محيطهم الاجتماعي، وتجعلهم يتعاملون مع أصدقاء افتراضيين.

وقـد كانـت غرفـة الدّردشـة في السـابق المتـنفّس الوحيـد للشـباب للتواصـل مـع الشــباب الآخــرين، حتــى ظهــر (الفــيس بــوك)، وجعلهــم أكــثر إدمانــا للإنترنــت وأكــثر عزلــة عــن أسرهــم؛ لأســبابٍ عديــدة منهــا: الفضــول، ومحاولــة إظهــار المســتخدم لشخصــيته، وبأنــه حــاضر دائمــا في الإنترنــت، إذ يعــرض صــوره،

1 "سبتي، مرجع سابق، 2010 "

ويطّلع على صور الآخرين، كما أنه يكتب تعليقات، ويطلع على آخرين. وهذا يتطلّب منه الكثير من الوقت، إلى درجة أنه لا يجد فرصة للحديث مع أي شخص!

4- موقع تويتر Twitter:

التويتر (Twitter) أو كما تمّت ترجمة الاسم إلى اللّغة العربيّة بـ "التغريد"؛ هو موقع شبكة تواصل اجتماعي على الإنترنت. وبدأ هذا الموقع أعماله منذ عام 2006، ويختص بمتابعة الشخصيّات وتتبع أخبارها وتتبع الأخبار وكذلك تتبع الأصدقاء والمقرّبين. ويقوم الموقع على مبدإ التّغريدة أو الـ "Tweet"، أي كتابة نص ونشره على صفحتك الخاصّة وبحد أقصى 140 خانة؛ حتى يراه كل المتابعين لديك. وأعتقد أنّها سميت بهذا الاسم لمحدوديّة العدد وقصر الخبر المنشور.

صاحب فكرته هو المبرمج ورجل الأعمال الأمريكي جاك دورسي، وقد صنفته مجلة معهد "ماساتشوستس" للتقنية كأحد أكثر 35 شخصية مبتكرة في العالم تحت سن 35 سنة.

"كشفت دراسة حديثة أنّ الإقلاع عن التدخين والكحول أصعب من ترك موقع "تويتر"، وقد أجرى الدراسة فريق بحثي من جامعة شيكاغو الأمريكية، تابعوا فيها إرادة 205 أشخاص، تراوحت أعمارهم بين 18 و85 سنة، في مدينة ألمانية، وتبين أنه مع مرور النهار تضعف الإرادة الإنسانية تدريجيًا، وكانت إرادة الإنسان أقوى في مقاومة رغبة ممارسة التمارين الرياضية، والحاجة الجنسية، والرغبة الشرائية، وأضاف هوفمان: أن مقاومة التواصل الاجتماعي صارت في غاية الصعوبة؛ لسهولة الوصول إليها، وتوافر الأجهزة الذكية؛ ولأنها لا تكلّف كثيرا من المال.[1]

1 جريدة الأنباء 2012/2/7 نقلا عن جريدة غارديان البريطانية".

إن مواقع التواصل الاجتماعي لا تقوّي علاقة الإنسان ببني جنسه - وإن كان ذلك في الظاهر، فهي تجعله في جل وقته منعزلا عن محيطه الاجتماعي، بل قد تدفعه إلى التواصل مع أشخاص وهميين أو مخادعين، فيقع فريسة للابتزاز والمكر.

5- الهواتف المحمولة:

الهاتف المحمول أو النقال أو الخلوي أو المتحرك (أداة اتصال لا سلكية تعمل خلال شبكة من أبراج البث موزعة لتغطي مساحة معينة، ثم تترابط عبر خطوط ثابتة أو أقمار صناعية. ومع تطور هذه الأجهزة أصبحت أكثر من مجرد وسيلة اتصال صوتي، فهي حاسوب محمول بحجم الكف يسجل مثلا المواعيد واستقبال البريد الصوتي وتصفح الشبكة والتصوير... إلخ، كما قد أصبحت الهواتف النقالة إحدى وسائل الإعلان، ونتيجة انخفاض تكلفة المكالمات، توسعت الهواتف النقالة في مناطق نائية، لذا فقد تزايد عدد مستخدمي هذه الأجهزة باستمرار ليحل محل أجهزة الاتصال الثابتة.

وهي من بين الوسائل الأكثر تأثيرا في أيامنا هذه، فقد أصبحت الشريك اليومي الذي لا يغيب ولا ينسى، إلى درجة وصفها الخبراء بالإدمان، بسبب غياب رشادة الاستعمال، من جهة، وبسبب حالة من التوحد مع هذا الجهاز من جراء الاستغراق في استخداماته، خاصة أنه أصبح يمثل جهازا شاملا بفضل الخصائص التي أدخلت عليه، وحولته إلى وسيلة اتصال وآلة تصوير، وجهاز حفظ وتحميل المعلومات، وغرفة دردشة ... إلخ من الخصائص والميزات الأخرى التي جعلت الفرد منهمكا فيه إلى حد الاختناق!

الفصل السادس

الأسرة في زمن العولمة والتكنولوجيا

مدخل:

إن الحديث عن الأسرة في العقدين الأخيرين أصبح مختلفا تماما، وذلك راجع إلى أن أوضاع العالم قد شهدت تغيرات لم تعرف لها البشرية مثيلا، فأصبح مشروع "الإنسان الكوني" يطرح نفسه بقوة في ظل المتغيرات الحديثة والكثيفة والسريعة، فأصبح الأمر يطال الطرح المتبنى في الواقع من خلال المظاهر المعولمة التي أصبحت تميز ملامح النسيج المجتمعي بكل ما تفرضه من مفاهيم جديدة، حيث إن الخلل أصبح ملحوظا في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية، ومختلف المؤسسات المجتمعية، فآثار "العولمة أصبحت تطال الأسرة، المدرسة، الجامعة والمؤسسات الاقتصادية بفعل التطور المذهل لوسائل وتكنولوجيات الاتصال التي أصبحت تفتح الأبواب بلا استئذان، مع كل ما تحمله من تأثيرات مختلفة على العقل والوجدان. ولا نختلف اليوم حول الأزمة التي أصبح يعيشها المجتمع في ضوء الواقع المعيشي ووعي الأفراد بتأخر هذا الواقع، وما يترتب على ذلك من مخلفات اجتماعية تكاد تصل أحيانا إلى الانسلاخ الاجتماعي عن مقومات الهوية الثقافية الوطنية،

ومن الطبيعي أن تتوجه الأنظار في مثل هذه الأزمات إلى المؤسسات التنشئية في المجتمع، على رأسها الأسرة، لكن لابد أن يكون هذا التوجه بعين النقد والتقويم من خلال إجراء قراءات لواقع هذه المؤسسة في ضوء التغير الاجتماعي الحاصل بغية الوصول إلى إعادة بناء تصورات جديدة ترفع من مستوى الوعي عند الأفراد للوصول إلى رشادة وتعامل أفضل مع هذه المعطيات.

على بساط تكنولوجي وإعلامي مبهر، تقدم لنا العولمة أطباقها المختلفة التي تشع حداثة وجاذبية بفضل أدواتها المغرية في العرض والتقديم، من خلال الإعلان تارة والسينما تارة أخرى، فضلا عن المواقع الإلكترونية والصناعة العالمية التي برعت في تضمين أيديولوجياتها وأفكارها ونماذجها من خلالها، محاولة بذلك ضرب عمق الهوية العربية الإسلامية في شتى المجالات، تغيرت بها رموز الاتصال والتواصل، وتراجعت من خلالها بعض القيم أيضا، كما عج العالم بفوضى المفاهيم والمصطلحات الجديدة على خلفية الحداثة والمعاصرة! مما أدى إلى جملة من التراكمات والتغيرات التي أصابت المجتمع على جميع المستويات، أهمها:

1- تمزّق الكثير من الأنسجة الاجتماعية، واختلال ـ إن لم نقل انحلال ـ الروابط الأسرية والاجتماعية، ومروق الشباب وتمردهم على ضوابط الأسرة، وقيم المجتمع.

2- تردي علاقة الآباء بالأبناء، وانصراف الأبوين عن دورهم التربوي التاريخي ـ ما عدا الرعاية المادية ـ يقابل ذلك استغناء الأبناء عن الحاجة إلى أولياء الأمور تحت عناوين الاستقلالية وبناء الذات.

3- تهديد النظام الأخلاقي الإسلامي، فمن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي، ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم، ومن أحدث محاولات العولمة محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه (Gender) بدل كلمة (sex)، يقول الدكتور "محمد الركن"، في مجلة المستقبل الإسلامية: (ومن المسائل الجديد المستحدثة التي تحاول بعض المنظمات والحكومات الغربية فرضها، وإلزام شعوب العالم الأخرى بوجهة نظرها

فيها، مسألة تعريف الجنس والأسرة، ومما حداني إلى الحديث حول هذا الموضـوع، مـا شـاهدته في المسـتندات الرسـمية، فقـد تمـت ترجمـة الجـنس الغـربي إلى مصطلـــح (Gender) باللغة الإنجليزية، وهي تنم عن عـدم إلمـام بمـا يسـعى إليـه الغربيـون في فرض ثقافتهم على الآخرين، فلفظة الجندر لا تتطابق تماما مع لفظة (sex)، بل إن لها أبعادا خطيرة قلما نتنبه إليها.

والموسوعة البريطانية تعرف "الجندر" بأنـه: (تقبـل المـرء لذاتـه، وتعريفـه لنفسـه كشيء متميز عن جنسه البيولوجي الحقيقي)، فهناك من الأشـخاص مـن يـرون أنـه لا صلة بين الجنس والجندر، إذ إن ملامح الإنسان البيولوجية الخارجية الجنسية مختلفـة عن الإحساس الشخصي الداخلي لذاتـه أو للجنـدر، بعبـارة أخـرى أكـثر تبسـيطا، فـإن الجندر بعبارتهم تنصرف إلى غير الذكر والأنثى كجنسين فقط، ونحن لا نعرف ولا نقـر في ديننا وثقافتنا إلاّ بهما، فالجندر تشمل الشاذين جنسـيا مـن سـحاقيات، ولـواطيين، ومتحـولي الجـنس، إذ إنهـا تـرتبط بتعريـف المـرء لذاتـه، وهويتـه، ولـيس بجنسـه البيولوجي.

ومن هنا تأتي خطورة المسألة، ولهذا نرى في المؤتمرات الدولية تسابقا محموما مـن المنظومات الغربيـة، وبعـض الحكومـات الغربيـة، وخصوصـا الأوروبيـة، لفـرض لفـظ (Gender) بدل لفظ (sex) التي تنصرف إلى الذكر والأنثى فقط، وذلك عند الحـديث عن حقوق الإنسان، أو محاربة التمييـز ضـد الإنسـان، أو تجـريم أفعـال ترتكـب ضـد الإنسان).

4- تقويـة النزعـة الأنانيـة لـدى الفـرد، وتعميـق مفهـوم الحريـة الشخصـية في العلاقة الاجتماعية، وفي علاقـة الرجـل بـالمرأة، وهـذا بـدوره يـؤدي إلى التسـاهل مـع الميـــول والرغبـــات الجنســـية، وتمـــرد الإنســـان عـــلى الـــنظم والأحكـــام الشرعيـــة التـــي تـــنظم وتضـــبط علاقـــة الرجـــل بـــالمرأة، وهـــذا بـــدوره يـــؤدي إلى انتشـــار

الإباحية، والرذائل، والتحلل الخلقي، وخدش الحياء، والكرامة، والفطرة الإنسانية.

5- العمل على تفكيك الأسرة وإضعافها وقطع أواصرها، يقول الباحث الدكتور "عماد الدين خليل": (وفي الجانب الاجتماعي تسعى العولمة إلى تعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة، وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلا أنّ الواقع هو إفساد وتفكيك الأفراد واختراق وعيهم، وإفساد المرأة والمتاجرة بها، واستغلالها في الإثارة والإشباع الجنسي، وبالتالي إشاعة الفاحشة في المجتمع، وبالمقابل تعميم فكرة تحديد النسل، وتعقيم النساء، وتأمين هذه السياسات وتقنينها بواسطة المؤتمرات ذات العلاقة: ("مؤتمر حقوق الطفل"، "مؤتمر المرأة في بكين"، "مؤتمر السكان"، وما تخرج به هذه المؤتمرات من قرارات وتوصيات واتفاقيات تأخذ صفة الدولية، ومن ثمّ الإلزامية في التنفيذ والتطبيق، وما تلبث آثار ذلك أن تبدو واضحة للعيان في الواقع الاجتماعي استسلاما وسلبية فردية، وتفككا أسريا واجتماعيا، وإحباطات عامة، وشللا تاما لدور المجتمع، الذي تحول إلى قطيع مسير، ومنقاد لشهوته وغرائزه، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، متحللا من أي التزامات أسرية واجتماعية، إلا في إطار ما يلبي رغباته وشهواته وغرائزه)[1].

6- من مخاطر العولمة أنها تجيز الشذوذ الجنسي، والعلاقات الجنسية الآثمة بين الرجل والمرأة، بل بين الرجل والرجل.. ولبيان هذا الجانب الخطير المدمر للحياة الاجتماعية في العالم الإسلامي، نقف قليلا عند وثيقة مؤتمر الأمم المتحدة، المسمى المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، الذي عقد في

---

1 تحديات النظام العالمي الجديد، د.عماد الدين خليل، شبكة المعلومات الدولية، موقع الإسلام على الطريق.

القاهرة من 5-13 سبتمبر عام 1994م، وهذه بعض الأمور التي ركزت عليها هذه الوثيقة:

-الفرد هو الأساس، ومصالحه ورغباته هي المعيار، لا الدين ولا الأمة، ولا العائلة، ولا التقاليد، ولا العرف، ومن حق الفرد التخلص من القيود التي تفرض من جانب تلك الجهات.

- تتحدث عن ممارسة الجنس دون أن تفترض وجود زواج، وعن ممارسة الجنس بين المراهقين دون أن تستهجنه، والمهم في نظر الوثيقة ألا تؤدي هذه الممارسة إلى الوقوع في الأمراض، والواجب توعية المراهقين وتقديم النصائح المتعلقة بممارسة الجنس ومنع الحمل، وتوفير منتهى السرية لهم، واحترام حقهم في الاحتفاظ بنشاطهم الجنسي سرا عن الجميع.

- تستهجن الوثيقة الزواج المبكر لأنه يؤدي ـ في نظرها ـ إلى زيادة معدل المواليد.

- الإجهاض: لا تدين الوثيقة الإجهاض، إذا لم يكن ثمة خطر على صحة الأم، المهم أن يكون الإجهاض آمنا لا يهدد حياة الأم، (إنّ الإجهاض الذي تدعو إليه منظمة الأمم المتحدة من خلال مؤتمرها هذا، صلته وثيقة بالإباحية للجنس، المسقطة للقيود والالتزامات، دونما شرع أو قواعد آمرة ضابطة، وعلينا الوعي بأنّ الحديث عن الإجهاض في هذا المؤتمر لم يكن حديثا عن كونه حكما، أو فتوى لحالة أو حالات معينة، وإنّما كان الحديث عنه بحسبانه سياسة عامة، مما يعني أنّ الإجهاض بهذا المعنى إسناد للإباحية)[1]

1 وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، رؤية شرعية، د.الحسيني سلمان جاد، كتاب الأمة عدد 53، السنة السادسة، جمادى الأولى 1417هـ ص 72.

- استهجنت الوثيقة الأمومة المبكرة ـ دون أن تميز بين ما إذا كانت هذه الأمومة قد حدثت في نطاق الزواج الشرعي أم خارجه ؛ لأنها في نظرها تزيد من معدلات النمو، وتقيد المرأة من العمل والمساهمة في الإنتاج.

- استخدمت الوثيقة لفظ "قرينين" بدلا من زوجين، فلفظ قرينين أكثر حيادا، لأنّه لا يفترض وجود رباط قانوني معين، وهذا الحياد يجعل الشذوذ الجنسي[1] والعلاقات الجنسية دون زواج أمرا جائزا ومقبولا.

- المساواة بين المرأة والرجل: تدعو الوثيقة إلى المساواة التامة بين الطرفين، وحثت المرأة على إلغاء الفوارق الطبيعية بينها وبين الرجل، ومن ذلك: اشتراك الرجل في الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال أسوة بالنساء، دون النظر إلى اختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الرجال والنساء[2]، ومقتضى هذا الفهم إزالة جميع الفوارق في الأحكام والحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، وهو الأمر الذي يتناقض مع الشريعة الإسلامية، التي تقوم على أساس الفرق الفطري والخلقي بين الرجل والمرأة.

ذلك الفرق الذي يقتضي اختلافا في بعض الأحكام والحقوق والواجبات؛ بحسب اختلاف الاستعدادات الفطرية، والمؤهلات التكوينية بينهما، ولهذا نجد الشريعة الإسلامية تقرر أن مبدأ عدم المساواة المطلقة بين الرجال والنساء أمر قطعي الثبوت والدلالة، ولا خلاف فيه، ولا مجال فيه للاجتهاد.

---

1 وقد وجدت أخيرا جماعات الشواذ جنسيا في كثير من البلدان العربية، وقد دافع عنهم الرئيس الفرنسي شيراك، كما دافعت عنهم بعض المنظمات الدولية، لأنّ بعض الحكومات تريد محاكمتهم عن جرائمهم.

2 انظر العولمة، د. جلال أمين، ص 133-138، الإسلام والعولمة، ص 121-12، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، رؤية شرعية، د.الحسيني سلمان جاد، ص55-70.

7- إشاعة ما يسمى بأدب الجنس، وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة، وكظاهرة عادية وطبيعية[1]؛ وما يترتّب على ذلك من انتشار الرذيلة، والجريمة، والعنف في المجتمعات الإسلامية، وقتل أوقات الشباب بتضييعها في توافه الأمور، وبما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه وأخلاقه وسلوكه وحركته في الحياة.

وتسهم في هذا الجانب شبكات الاتصال الحديثة، والقنوات الفضائية، وبرامج الإعلانات، والدعايات للسلع الغربية، وهي مصحوبة بالثقافة الجنسية الغربية، التي تخدش الحياء والمروءة والكرامة الإنسانية، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة خطورة القنوات الفضائية ـ بما تبثه من أفلام ومسلسلات جنسية فاضحة ـ على النظام التعليمي والحياة الثقافية، والعلاقات الاجتماعية، ونمط الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي[2].

وفي دراسة أعدها مركز دراسات المرأة والطفل بالقاهرة على 1472 فتاة وسيدة مصرية؛ تبيّن أنّ الأفلام التي يشاهدنها: 85% أفلام جنس، 75% بها مشاهد جنسية، 85% أفلام عنف وحروب، 23% أفلام فضاء، 68% أفلام عاطفية قديمة وحديثة، 21% أفلام أخرى، 6% فقط من عينة البحث يشاهدن نشرات الأخبار وبرامج ثقافية وترفيهية، ولم يذكرن الأفلام العلمية، لأنها لم تنل منهن أي اهتمام يذكر[3].

---

1 انظر مبحث الثقافة العربية في مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 100-101، بيروت 1993م، مسعود ظاهر، الوطنية في عالم بلا هوية، ص84-85، 150، ص36.

2 العولمة، د. جلال أمين ص 126-128.

3 العولمة، د. جلال أمين، ص 126-128.

8- زيادة نسبة معدلات الجريمة، ليس في الدول النامية وحدها، بل في كل الدول الأوروبية الغنية، وقد أكّد هذا الأمر الكاتبان الألمانيان "هانسبيتر مارتين، وهارالدشومان" حيث قالا: (ينتفع مرتكبو الجرائم متعددة الجنسيات أيضا من إلغاء القيود القانونية المفروضة على الاقتصاد، فعلى مستوى كل البلدان الصناعية تتحدث دوائر الشرطة والقضاء عن طفرة بينة في نمو الجريمة المنظمة، وكان أحد موظفي الشرطة الدولية قد أشار إلى هذه الحقيقة بعين العقل، حينما راح يقول: "إنّ ما هو في مصلحة التجارة الحرة، هو في مصلحة مرتكبي الجرائم أيضا[1]"، ويضيفان: إنّ النتائج المترتبة تثير الرعب بلا شك، ففي منظور الخبراء، أضحت اليوم الجريمة المنظمة عالميا، أكثر القطاعات الاقتصادية نموا، إنه يحقق أرباحا تبلغ خمسمائة مليار دولار في العام) [2].

9- زيادة معدلات الفقر والبطالة، وتوهين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، والظلم الاجتماعي، الذي يصيب الأسر الفقيرة، نتيجة تقليص الدولة للدعم الاجتماعي لهذه الأسر، كما ستؤدي العولمة إلى تشغيل خمس المجتمع، وستستغني عن أربعة الأخماس الآخرين؛ نتيجة التقنيات الجديدة المرتبطة بالكمبيوتر.

فخمس قوة العمل كافية لإنتاج جميع السلع، وسيدفع ذلك بأربعة أخماس المجتمع إلى حافة الفقر والجوع، ومن مخاطر العولمة أيضا قضاؤها على حلم

1 فخ العولمة، هانس بيترمارتين، هارالد شومان، ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم أ.د. رمزي زكي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 367.
2 المصدر نفسه، ص 370، فمن الأمثلة: ارتفاع حجم المبيعات في السوق العالمية للهيروين في عام 1990م إلى عشرين ضعفا من خلال العشرين سنة الماضية، وارتفعت المتاجرة بالكوكايين إلى خمسين ضعفا، انظر المصدر السابق ص 367-368.

مجتمع الرفاه، وقضاؤها على الطبقة الوسطى التي هـي الأصـل في إحـداث الاسـتقرار الاجتماعي، وفي إحداث النهضة والتطور الاجتماعي[1].

ولقد أصدرت الأمم المتحدة أخيرا تقريرا، يفيد بأنّ قوى العولمة رغم إتاحتها فرصـا لم يحلم بها لمنفعة بعض الشعوب وبعض الدول، إلا أنها قد أسهمت في الوقت نفسـه في كثير من دول العـالم في رفـع معـدلات الفقـر والظلـم، والقلـق عـلى فـرص العمـل، وإضعاف المؤسسات التي تقدم الدعم الاجتماعي للفقراء، كما أسهمت في تفتت القيم والعادات السائدة منذ زمن بعيد[2].

10- أنها تدفع بفئات اجتماعية متعددة إلى حافة الفقر والتهميش، وتشـير الأرقـام إلى أن 358 ملياردير في العالم، يمتلكون ثروة تضاهي مـا يملكـه 2.5 مليـار مـن سـكان العالم، أي ما يزيد قليلا عن نصف سكان العالم.

وأن هناك 20% من دول العالم تستحوذ عـلى 85% مـن النـاتج العـالمي الإجـمالي، وعلى 84% من التجارة العالمية، ويمتلك سكانها 85% من مجموع المدخرات العالمية.

وهذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة، حيـث تسـتأثر قلّة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطني والـثروة القوميـة، في حـين يعـيش أغلبية السكان على الهامش.

11- طمــس الهويــة الثقافيــة للمجتمعــات الإســلامية، واســتبدالها بالهويــة الغربيــة، وخاصــة الأمريكيــة، حيــث سـيطرت الثقافـة الأمريكيـة الشـعبية عـلى أذواق الـبشر؛ فأصـبحت موسـيقى وغنـاء "مايكـل جاكسـون"، وتليفزيـون "رامبـو"،

---

1 العولمة الحقيقة والأبعاد، مصدر سابق.

2 مجلة المشاهد السياسي، عدد 108، 11 نيسان 1998م، ص 36.

وسينما "دالاس" هي الآليات والنماذج السائدة في مختلف أنحاء العالم، وأصبحت اللغة الإنجليزية ذات اللكنة الأمريكية هي اللغة السائدة[1].

12- أن ثقافة العولمة ثقافة مادية بحتة، لا مجال فيها للروحانيات، أو العواطف النبيلة، أو المشاعر الإنسانية، إنها تهمل العلاقات الاجتماعية القائمة على التعاطف والتكافل، والاهتمام بمصالح وحقوق الآخرين، ومشاعرهم.

فهي تشكل عالما يجعل من الشح والبخل فضيلة، ويشجع على الجشع والانتهازية، والوصول إلى الأهداف بأي وسيلة، دون أدنى التفات إلى القيم الشريفة السائدة في المجتمع[2].

المبحث الثاني: أسرنا أمام عولمة الثقافة، أي موقف وبأي آثار؟

نقطة أساسية نحاول أن ننطلق منها في دراسة الإشكاليات التي تواجه الأسرة المعاصرة، وهي أن هذه الحياة الجديدة أصبحت تفرض معاني ومفاهيم جديدة أيضا لا تجد الأسرة نفسها على هامش التعامل بها أو معها، ولذلك فإن التعويل على الأسرة كنظام أساسي وأولي في النسيج المجتمعي، كفيل بتوعية الأفراد والشعوب للاستيعاب الأفضل لمعطيات العالم الجديد، لأن الأسرة هي البيئة الأولى التي يتشرب منها الأطفال- شباب المستقبل- القيم والثوابت والمبادئ الأخلاقية التي لابد من التمسك بها وبمعانيها ورموزها مهما كانت درجة التغير، ذلك أنه لكل ثقافة هويتها الخاصة التي تنطلق منها وتخضع لها، ويجد المثقف العربي نفسه في خضم أطروحة الإنسان الكوني أو النموذج الكوني التي يسعى العرب إلى تجسيدها من خلال مختلف

---

1 مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 229، مارس 1998م، انظر الثقافة العربية في عصر العولمة، د.عبد الفتاح أحمد الفاوي، الأهرام 2001/02/22.

2 حسين كامل بهاء الدين، الوطنية في عالم بلا هوية، ص 150-151

مظاهر الاختراق والغزو الثقافي الذي تمارسه "العولمة على الأمم والشعوب. أمام موقف جديد شديد التعقيد. وفي هذا المضمون، يطرح الدكتور "أحمد مجدي حجازي" في كتابه: "الثقافة العربية في زمن العولمة" سؤالا هاما هو: "هل باتت الثقافة تنهل أسباب وجودها وشخصيتها من مصادر خارج المجتمع الوطني؟ وهل ستصبح الثقافات عبر الزمن موحدة؟ وهنا، وللإجابة عن هذا التساؤل، نجد اختلافا في موقف المفكرين حول هذا الموضوع، حيث يضيف الكاتب: اختلف الباحثون، فمنهم من يرى في عولمة الثقافة تجردا من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا... ويذهب فريق آخر إلى أن عولمة الثقافة لا تلغي الخصوصية بل تؤكدها حيث إن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، ومن ثم لابد من وجود ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة".

ومهما كان الموقف من العولمة، نجد أن هناك حذرا شديدا من التعامل معها، حيث أصبحت آثارها تمتد إلى عمق الهوية الثقافية ومقومات الشخصية القومية العربية بسبب ما تتناقله وسائل وتكنولوجيات الاتصال من نماذج معولمة حول مختلف نواحي الحياة الاجتماعية الاقتصادية والثقافية، مستعينة في ذلك بمختلف صور التأثير والجذب والإثارة التي تتوجه إلى عقول ووجدان الأفراد، مما يعزز مشروع الاختراق الثقافي من جهة ويزيد من فجوة الصراع بين الأجيال.

المبحث الثالث: الأسرة والتكنولوجيا... إيديولوجيا الاختراق

في وقت مضى، وبالضبط بعد ظهور التلفزيون والهوائيات المقعرة وما نتج عن ذلك من انفتاح جراء غزو الإعلام التفاعلي، والمساحات الحرة الواسعة التي وفرها الحراك الإعلامي للانفتاح على الآخر وثقافته وطريقة عيشه، كان

الخبراء يحذرون من خطورة ما اصطلح على تسميته آنذاك بـ "الغزو الثقافي"، الذي بدت بوادره تفرز بعض التغيرات الجديدة على مستوى السلوك وطريقة التفكير، خاصة عند المراهقين والشباب... ولطالما كان هذا المصطلح مجديا في بداياته بالنظر إلى انعكاسات المجتمع الصناعي الذي أصبح يبدو يوما عن يوم أكثر تعقيدا..

ومن نافلة القول، أن أطروحة الإنسان الكوكبي التي تطرحها العولمة اليوم من خلال استخدام وتوظيف مختلف الوسائل التكنولوجية الحديثة التي أضحت تؤثر على الأذهان والوجدان والأذواق،، سمحت بنقلة نوعية في مجال الاتصال البشري من خلال عالم الاتصال الرقمي الذي ظهر إلى الوجود، الذي أفرز استخدامات أخرى وإشباعات من نوع جديد تتحكم فيها الإنترنت والهاتف النقال بشكل بارز أصل لنظرية "الاختراق" حيث يبدو "الغزو" حينها مصطلحا "كلاسيكيا" في زمن نعجز فيه عن تحاشي هذه الوسائل، فهي تخترقنا في عقر ديارنا...

وجدير بالذكر أن إزالة الحواجز بين المجتمعات الإنسانية حسب ما تقتضيه متطلبات الحياة العصرية بالمفهوم العولمي لا يمكن أن يكون عبر تجاوز الثقافات الوطنية من خلال مشروع العولمة الذي "أوجد طرحا جديدا لوجود ثقافة عالمية موحدة... والثقافة هي الأخرى اندمجت أو تم دمجها داخل هذا النظام. ومن هنا، أصبح السوق الدولي المتميز بالعولمة والشمولية عبارة عن مجموعات كبيرة من الأفراد تتقاسم بغض النظر عن حدودها الوطنية نفس طرق الحياة، ونفس أنظمة القيم، ونفس الأولويات ونفس الأدوات والمعايير وبالتالي نفس العقليات السوسيوثقافية".

إن تطورات الواقع والحياة المعاصرة بكل ما تحمله من تغيرات، أدخلتنا في مرحلة جديدة تتطلب من الأهل في المجتمع العربي الحضور الفعلي في

معركة البحث عن الإجابات والبدائل الملائمة، التي تواكب العصرنة والتحديث وتحافظ أيضا على ثوابت الأمة. وقد تكون الأسرة أمام كل هذه التحديات الجديدة التي يمر بها المجتمع العربي الأمل الأكبر في بناء فكر متجدد يساعد على التكيف مع أشكال ومعطيات الحياة العصرية في المجتمع، بحيث يسمح بالريادة، وعلى مستوى الواقع ومظاهر "المعاصرة" يجد الأهل أنفسهم أمام إشكاليات ومعضلات خلفتها تعقيدات وأزمات الواقع المعيش، مما يفرض عليهم إيجاد تصورات فكرية تجاهها يتمكن من خلالها تجاوز هذه الإشكاليات حتى ينطلقوا في معادلة إيجاد التوازن ما بين الحداثة والمعاصرة.

فالثقافة إذن أصبحت فاصلة في التقدم إلى الأمام نحو الحداثة والمعاصرة، أو الركض نحو الخلف وإضاعة المستقبل في الوقت الذي يزداد فيه الصراع على المعرفة الذي هو الآخر أصبح يمثل السمة الأساسية لبسط النفوذ والسلطة في المجتمعات بفضل التطور التكنولوجي المذهل.

ولنا هنا أن نتصور الدور المنتظر من الأسرة والأهل في خضم هذا السباق التاريخي بكل ما يحمله من خلفيات ثقافية واجتماعية في مواكبة طريق التحديث والعصرنة دون الخدش بالثوابت والقيم، "فإدارة التحديث ولو كانت قسرية لا يمكن أن تجعل مجتمعا غير غربي يصير غربيا متطابقا.

يبقى أن الحداثة طرقها متعددة، فهي ليست متطابقة بل متعاصرة، كل مجتمع قد يصبح حديثا حداثيا على طريقته، فهي حداثات متكافئة، ندية، أي متعاصرة. إن حداثتنا - إذا نحن أنجحناها- ستكون متميزة عن الغرب، لكنها مكافئة له ومتعاصرة معه، لكنها ستجعلنا أيضا متميزين عن الأسلاف".

فظاهرة الاختراق الثقافي التي تسطو على المجتمع التي تؤثر أيضا على الأسرة كجزء من هذا المجتمع، لم تتراجع بقدر ما تحلت بلباس جديد يتلاءم مع معطيات العصر الجديدة، وهو بهذا الشكل حملة ضد ثقافات هي مناهضة

للثقافة الغربية التي تسعى إلى عولمة الثقافة وخلق نموذج الثقافة الأوحد. وبناء على هذا، فنحن "معرضون لغزو ثقافي مضاعف، الغزو الكاسح الذي يحدث على مستوى عالمي والغزو الذي تمارسه علينا الدول الاستعمارية التقليدية، أما الوسائل فهي نفسها الإعلام بالمعنى الواسع والمتشعب، الإعلام الذي يغزو العقل والخيال والعاطفة والسلوك والأذواق والعادات... إلخ، تهدد الثقافة الوطنية والقومية في أهم مقوماتها، وترسيخ ثقافة عالمية موحدة مبنية على أساس الليبيرالية وديمقراطية السوق وسيادة المستهلك العالمي الأوحد. فالغزو الثقافي أو الاختراق الثقافي إنما هو مرحلة غزو واختراق للنفوس بعدما غزت القوة الأبدان والأجساد، والهدف إخضاع النفوس إنما هو غزو العقل وتكيف المنطق، توجيه الخيال، صنع الأذواق، ترسيخ نوع معين من القيم، تكريس إيديولوجيا خاصة، إيديولوجيا الاختراق".

فالملاحظ أن الأهل أصبحوا في ضوء هذه المعطيات يعيشون تحت ضغط اجتماعي كبير، بحيث نجدهم يعانون من مشكل " لا أمان"، لماذا؟ لأن الأسرة على خلاف ما كانت عليه من قبل من أمن اجتماعي يحظى به الآباء في خلال ممارساتهم المختلفة في إطار عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء في غياب مؤسسات التأثير المعاصرة كالهوائيات المقعرة أو صالات الإنترنت المفتوحة عل مصراعيها... أصبح الأهل يجدون أنفسهم اليوم في حالة لا أمان من تأثير هذه المؤثرات الخارجية وما تقدمه من إغراءات مختلفة تصيب الفكر والوجدان.

كما أن حدود التأثير أصبحت مفتوحة للغاية إلى درجة أن "البيت" كمجال سكني لم يعد قادرا على التصدي لهذه المؤثرات، لأنه أصبح هو نفسه وكرا لها بفعل ما تتناقله وسائل وتكنولوجيات الاتصال الحديثة،، فقد ساهمت هذه التقنيات باستدخال قيم وسلوكات استهلاكية غالبا مضرة أو مخالفة للنموذج

العربي، وتحضرنا هنا أطروحة "هربر ماركيوز" عن "إنسان البعد الواحد"، حيث يرى أن المجتمع الصناعي في ظل الرأسمالية المتقدمة قد خلق فيضا من الحاجات الكاذبة أو الأحلام الزائفة... وكل العلاقات تبدو زائفة ومستلبة ومفرغة من مضمونها الإنساني الحر... وتسفر هذه الأشكال عن تحويل الإنسان إلى حيوان منتج مستهلك بالدرجة الأولى." وتأسيسا على ذلك، فإن وسائل وتكنولوجيات الاتصال الحديثة بدورها تدعم هذا الاتجاه الاستهلاكي لدى البشر، حيث إن كثيرا من هذه الأشياء المستهلكة تخلف الحاجة المستمرة إلى أشياء متزايدة، الشيء الذي يجعل الفرد غير قادر على مقاومتها إلا بصعوبة، حيث يركز على تحقيقها لأنه من دونها يشعر بالإحباط. وفي ضوء هذه الحاجات المتزايدة المغرية المتنوعة، يحاول الأفراد المستحيل للحصول عليها والتمتع بامتيازاتها، وبهذا الشكل تجد الأسرة نفسها مضطرة إلى استضافة الثقافات الجديدة إن لم تقدر على وضع الأحكام المناسبة لتهذيب الأذواق وتعليم كيفيات ومبادئ الاختيار بشكل لا يتناقض مع الثوابت والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية للأسرة.

المبحث الرابع: الاتصال الأسري والإنترنت... التأثير والانعكاسات

١- الاتصال

انبثقت كلمة اتصال من اللفظة اللاتينية "communius" الذي يعني (المشترك)، ومن اللفظ (commonicare) الذي يعني "المشاركة"، حيث يشير اللفظ إلى إيجاد مجموعة من الرموز المشتركة في أذهان المشاركين. وعليه، فإن الاتصال كعملية هو اتصال ذو اتجاهين]. [1]

1 حسين الخزاعي: مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية، ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص26.

يمثل الاتصال معاني يعبر عنها عادة بوسائل التعبير المختلفة كالكلمة والصورة والرمز والإشارة وغيرها من وسائل التعبير التي تنقل المعاني، فالاتصال عملية تتم بين طرفين يتخاطبان ويستطيعان عن طريق الاتصال بينهما الاشتراك في فكرة أو رأي أو شعور أو عمل.[1]

فقد يكونان شخصين أو شخصا في طرف ومجموعة أشخاص في الطرف الآخر، وأحيانا يكون التخاطب بين مؤسسة وبين شخص واحد أو عدة أشخاص وقد يكون الاتصال مباشرا أو غير مباشر، غير أن الاتصال يحمل كثيرا من خصائص المتصلين ولن يفهم فهما صحيحا إلا في ضوء معتقدات المجتمع وقيمه ومعاييره وسننه.

تتكون العملية الاتصالية من:

1- المرسل: من تصدر عنه الرسالة

2- الرسالة: أي موضوع الاتصال وهي عادة جملة الأفكار والمفاهيم والإحساسات والمهارات والاتجاهات التي يرغب المرسل إشراك غيره فيها.

3- المستقبل: شخص أو مجموعة أشخاص أو جماهير عديدة.

4- الوسيلة: وسيلة الاتصال سواء كانت لغة أم رمزا أم إشارة أم أداة أم غير ذلك...

5- التغذية الرجعية: أو رجع الصدى: هي الاستجابة التي تتركها الرسالة لدى المستقبل...

يعد التواصل الأداة الرئيسية للعلاقات بين الأفراد، وكلما كانت عملية الاتصال قائمة على أسس سليمة كانت نتائجها جيدة، وأكثر ما يعلق عليه

1 سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مدخل إلى الإعلام،، ط2، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص15.

الآمال في عملية الاتصال هو عملية التواصل الإيجابي في الأسرة، بين الزوجين مـن جهـة وبين الزوجين وأولادهما من جهة أخرى، وعملية التواصل بين الإخوة بعضهم البعض.

ولذلك يعتبر التواصل الشخصي أو الوجاهي المباشر من أكثر أنـواع الاتصـال التـي تتميز بها الأسرة بالنظر إلى العلاقات الحميميـة التـي تجمـع أفرادهـا مـن جهـة، وإلى طبيعة المواقف الاتصـالية المشـحونة بالمشـاعر والعواطـف والخصوصـية النابعـة مـن التفاعل اليومي المستمر بين الأفراد في مجالهم السكني.

و"يشير الاتصال الشـخصي إلى الاتصـال المبـاشر الـذي يـتم بـين عـدد محـدود مـن الأفراد، ويعرفه بعض الباحثين بأنه "اتصال وجهـا لوجـه وتفاعـل الأفـراد مـع بعضـهم البعض، وهو أقوى وسائل الاتصال في تغيير اتجاهات الناس ومفاهيمهم"[1]

حيث تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية القاعدية للمجتمـع، التـي تقـوم عـلى أسـاس العلاقات الزوجية لتلبية حاجات فطرية والقيـام بوظـائف شخصـية واجتماعيـة، كـما يتجسد فيها كل معاني التفاعل المباشر (وجها لوجه) والتواصل بين أفرادها. فالعلاقـات الأسرية تقوم على التبادلات والتأثيرات المتبادلة التي تساعد عـلى التماسـك والتعـاون، وهذا التبادل في التفاعل يتمثل في الاتصال الديناميكي والمشاركة والحركية المتواصلة في إطار ضرورة التواصل والتفاعل.

---

1 Zaki BADAWI: Dictionary of mass communication, English-French- Arabic, Dar El Kards, Cairo, 1978, P.120.

2- أسباب ضعف الاتصال الأسري:

يقول علماء التربية: "إن الطفل السعيد هو الطفل الذي يعبر عـن مشـاعره عنـدما يشعر بها، ولا يتركها تتراكم بحيث تظهر بعد ذلك في تعـابير مـدمرة"، وهـذا يعنـي أن المشاكل السلوكية الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع يمكن أن ترد بشكل أو بآخر إلى ظاهرة الصمت والعزلة داخل البيوت، فجنوح الأبناء وانعزالهم عن الأبـوين راجـع إلى شعورهم بالاختلاف التام وعدم القدرة على الانتماء إلى كيان الأسرة. وكـل هـذا إشـارة إلى ما يسمى ضعف الاتصـال الأسري، أو ضـعف "الاتصـال الأسري الفعـال". فـما هـي أسباب هذا الضعف؟

تعاني الأسرة المعاصرة من مشـكلات تتعلـق بـالفقر والتفكـك والأميـة، فضـلا عـن تعرضها لضغوط شتى تشغلها عن وظيفتها الأساسية والأصلية، وهي التربية، مما يقلل من فعاليتها في أداء هذه الوظيفة، بل أكثر من ذلك تـدفع الأسرة بأبنائهـا إلى الابتعـاد عنها، زيادة إلى بروز وسائط جديدة "تقلل" من فرص التفاعل الأسري.[1]

تكمن الأهمية الكبيرة التي تقع على عاتق الاتصال الأسري في وجود آليات لتوجيه سلوكيات المراهق دون تغليفها بصبغة الأمـر والنهـي، فـالمراهق مـثلا، يرغـب في تلـك المرحلة في إثبات ذاته، لذلك على الأبوين أن يتـدخلا بشـكل فعـال في بنـاء معتقداتـه بعيدا عن التوجيه المباشر الذي قد يدفع بالابن إلى الانعزال.

فجنـــوح الأسرة عـــن مســـؤولياتها الاجتماعيـــة، وتبنيهـــا الأســـاليب الخاطئـــة في التطبيـع الاجتماعـي، يـؤدي بكثـير مـن الأطفـال إلى مزالـق الانحـراف والهـلاك

---

1 محمـد بومخلـوف وآخـرون: واقـع الأسرة الجزائريـة والتحـديات التربويـة في الوسـط الـحضري "القطيعة المستحيلة"، ط1، مخبر الوقاية والأرغوميات، جامعة الجزائر، سلسلة "احـذر مـن الخطـر قبل فوات الأوان، 2008، ص04..

النفسي والاجتماعي والفساد الإجرامي. إن الكثير من الجرائم التي ترتكب في حق المجتمعات، ومؤسساتها، آتية من تقاعس الأسرة عن مهامها في التربية الاجتماعية، وإلقاء هذه المهمة الخطيرة على الشارع ووسائل الإعلام، وجماعات الأقران المنحرفة. والضحية في ذلك هو الطفل، الذي يحول هذا الضياع إلى ألوان شتى من الانحراف والاعتداء.

والحقيقة أن أسباب ضعف الاتصال الأسري متعددة، نذكر من بينها:

- تباين المستوى الثقافي والعلمي بين أفراد الأسرة يقلل من فرص الاتصال والحوار الأسري (عدم فهم كل طرف لما يحمله الطرف الآخر من الأفكار والمعتقدات).[1]

- انشغال كل من الأب والأم بأعمالهما بعيدا عن الأبناء والمنزل-

- الجهل بأساليب الحوار الفعالة.

- عدم أخذ الاتصال الأسري والحوار محمل الجد.

-الاعتماد على القوة في معاملة الأبناء وإهمال الجانب العاطفي.

-اختلاف معطيات العصر من جيل الأبناء إلى جيل الآباء.

- الضغوط المادية المؤثرة في الوظيفة التربوية للأسرة، وهنا نجد المسكن، فالمجال الداخلي للمسكن قد يشكل ضغطا من الضغوط التي تتلقاها الأسرة وذلك عندما يفتقر إلى شروطه الوظيفية التي هي الراحة والسكينة التي تفسح

1نقلا عن: عبد الرحمن بابا واعمر: الاتصال الشخصي في ظل تكنولوجيا المعلومات: دراسة أثر الحاسب الآلي على الاتصال الشخصي في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، تحت إشراف الاستاذ الدكتور يوسف تمار، جامعة الجزائر، 2010.

المجال للتفاعل بين أفراد الأسرة وفعاليتهم في أداء وظائفهم الفردية والجماعية وتنمية علاقاتهم وروابطهم الداخلية.[1]

- دخول تكنولوجيات الاتصال الحديثة البيوت لتأخذ من الوقت الذي تقضيه الأسرة في تبادل الحديث بين أفرادها، حيث تشكل الهواتف النقالة وأجهزة الكومبيوتر جزءا من حياة الأسرة، الأمر الذي أغنى وصرف أفرادها عن الاتصال والحوار. ولعل من أقسى الانعكاسات والآثار الناجمة عن ضعف الاتصال الأسري قضية التفكك الأسري وما ينجر عنها من تبعات نفسية واجتماعية، حيث " يشير تفكك الأسرة إلى انهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها. وقد صنف (وليم غود W. Good)الأشكال الرئيسية لتفكك الأسرة كما يلي:[2]

- التغيرات في تعريف الدور الناتجة عن التغيرات الثقافية خاصة بين الآباء والأبناء.

- أسرة "القوقعة الفارغة" وفيها يعيش الأفراد تحت سقف واحد ولكن تكون علاقاتهم في الحد الأدنى.

- الفشل اللاإرادي في أداء الدور نتيجة الأمراض النفسية أو العقلية.

- البحث عن بديل: ما يجعل الفرد فريسة لرفقاء السوء.

-انعدام الثقة بين أفراد الأسرة الواحدة.

-انقطاع الحوار بين الأبوين والأبناء منذ الصغر يؤدي إلى انقطاع صلة الرحم في الكبر.

---

1 محمد بومخلوف وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص36

2 نفس المرجع السابق، ص36

-انعدام الحوار يجعل الفرد إنسانا معزولا رافضا لشتى أساليب الحوار والمناقشة مع الآخرين في حياته ومع محيطه.

3-استخدام الإنترنت وأثره على الاتصال الأسري بين الآباء والأبناء

أ-استخدام الإنترنت ووهن القيم عند الأبناء

إن الاستغراق في استخدام الوسائط التكنولوجية (الإنترنت أو الهاتف المحمول) يسهم في استدخال قيم جديدة لا تخدم عملية الاتصال بين الآباء والأبناء داخل الأسرة، بل تسهم في الانطفاء والتآكل التدريجي لمنظومة القيم الموجهة للاتصال الأسري الداخلي.

فالوسائط الحديثة أصبحت اليوم تزاحم الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية التي كانت سابقا تنفرد بها الأسرة والمدرسة وبعض تأثيرات زمرة الأصدقاء التي يمكن توجيهها، بينما تغير الوضع في عصر تكنولوجيا المعلومات بشكل يخرج أحيانا عن السيطرة، حيث أصبح جهاز الكمبيوتر والإنترنت و" اليوتيوب " و" الفيسبوك " و" المسنجر "، ومؤخرا " التويتر "، شريكا رسميا في تربية الأبناء، وأصبح الطفل والمراهق يتعرضان لكمية هائلة من المعلومات والرسائل التي تسهم تدريجيا باستدخال قيم جديدة تتقاذفه لتحدث داخله كثيرا من الفوضى الداخلية، بسبب تعارض هذه المضامين مع بعضها، وبسبب اتسامها بكثير من التحرر ورفض القواعد والتعليمات، مما قد يتسبب في التآكل والانطفاء المفاجئ لبعض القيم التي كان مرغوبا فيها من قبل، بفعل ظهور معلومات جديدة تنقص من قيمتها، فينتج ما نسميه بـ " وهن القيم " الذي يحدث نتيجة التناقض في تعضيد الفرد الوجداني لقيمة معينة بسبب تفضيله لقيم جديدة أخرى يتم تبريرها وتغلغلها في السياق الاجتماعي الثقافي من جراء الانتشار الواسع لاستخدامات الإنترنت والوسائل التكنولوجية الأخرى، الشيء الذي ينعكس على الحياة الأسرية، فيحيي قيما ومعاني تحظى بقليل من احترام الأسرة كمصدر للحكمة،

وتنطفئ بالمقابل قيم ومعان كثير من الطاعة والاحترام والحوار بين الآباء والأبناء، مما يؤثر سلبا على انخراط الأبناء في عملية الاتصال مع الأهل التي تتغذى بهذه القيم العربية الأصيلة، وتنهل وجودها من الانسياق العفوي الوجداني للأبناء نحو الامتثال لها وتكريسها في علاقاتهم مع الآباء عبر مختلف مناسبات التواصل والتفاعل الاجتماعي بينهم داخل الأسرة.

وبناء على هذا، تفتح "الإنترنت" أمام البشر آفاقا جديدة واسعة لاكتشاف العالم الاجتماعي، ولكنها في الوقت ذاته تهدد بتقويض القيم الاجتماعية، من خلال المساهمة في تكوين قيم الرأسمالية التي تدعو إلى الفردية والتمركز حول الذات والاهتمام بالربح والمظهر، والبعد عن القيم الاجتماعية التقليدية، في الوقت الذي تنهل فيه الأسرة العربية عامة والجزائرية خاصة، وجودها من هذه الأخيرة (القيم)، التي تغذي مختلف العمليات الاجتماعية داخلها بما فيها عملية الاتصال بين الآباء والأبناء داخل مؤسسة الأسرة.

ب- استخدام الإنترنت وعلاقته بتراجع المؤانسة الاجتماعية داخل الأسرة.

إن الاستغراق في استخدام الوسائط التكنولوجية، والإنترنت على وجه الخصوص، أدى إلى فقدان المؤانسة الاجتماعية داخل الأسرة، بالنظر إلى أن عملية الاتصال بين الآباء والأبناء لا تتغذى فقط بمنظومة القيم الموجهة نحوها، وإنما تنضج كذلك بمختلف اللقاءات والجلسات والخرجات العائلية التي تطبعها أجواء الحميمية والترفيه، حيث تضفي نوعا من المرونة على عملية الاتصال الأسري، بالإضافة إلى توفرها على مناسبات ثرية من حيث حجم وكثافة الرسائل والمواقف الاتصالية التي تمرر وتحدث خلالها التي تضفي في مجملها أجواء من التآنس أو المؤانسة الاجتماعية، بشكل يعزز الترابط والتماسك والتواصل بين الآباء والأبناء بمناسبة أو من دونها، كما تدعم المشاركة الاجتماعية وتؤكد مشاعر الانتماء الأسري في الوقت الذي تكون الروح الجماعية داخلها سيدة المواقف كلها ومحور التفاعل الذي ينعش

فكرة الاجتماع والتآنس، ويضمن بهذا الشكل استمرارية التواصل بين الآباء والأبناء.

وفي خضم كل هذا الطرح، الذي يؤكد أهمية الانخراط في فعل المؤانسة الاجتماعية الأسرية لتعزيز الاتصال الداخلي الأسري، تظهر الإنترنت كطرف يشوش على هذا الفعل، عندما تتحول هذه التقنية إلى وسيلة مفضلة بامتياز عند كثير من الشباب لقضاء وقت فراغهم، وآلية يوظفها هؤلاء لتحصيل أسباب المتعة والاستئناس وكسر جدار الغربة والوحشة وقطع أحبال الملل والضجر، ولكن في جو يسوده هذه المرة كثير من الصمت والعزلة، في الوقت الذي تكون فيه نزعة "التمركز حول الذات" سيدة الموقف كله في هذا العالم الافتراضي الذي يفتح للفرد أبواب التعارف للتآنس، ويفتح له أبواب الترفيه عبر مختلف العروض الأكثر إثارة وتشويقا، بما تقدمه من ألعاب إلكترونية، أو مواقع فنية، بل حتى جو الفكاهة الذي كان يميز الأسرة، أصابته "القرصنة" الإلكترونية، بفعل ما تخوله الإنترنت لمستخدميها من تبادل للنكت والمواقف والمشاهد الفكاهية التي تضمن وصولها إليهم في كل زمان ومكان، بل وتحفظها عند الغياب بسبب خاصية التخزين التي تميز هذه التقنية. فأوجد بذلك ثقافة جديدة للترفيه هي ثقافة "الترفيه الإلكتروني" التي تستنفد وقت الفرد وتملأ فراغه عبر عالم أثيري يزداد الطلب عليه يوما بعد يوم بالنظر إلى خاصية "التجديد" المستمر الذي يشمل مواقعه. وبهذا الشكل أصبح الأبناء في زمن تكنولوجيات الاتصال يوظف "الإنترنت" ويستغرق في استخدامها كآلية للمؤانسة الاجتماعية. الشيء الذي ينعكس سلبا على عملية الاتصال بين الآباء والأبناء باعتبارها عملية تنضج بالمشاركة الاجتماعية في النشاطات العائلية.

ج- استخدام الإنترنت وعلاقته بإعادة توجيه أطراف عملية الاتصال إلى أطراف خارج الأسرة

إن الاستغراق في استخدام الوسائط التكنولوجية يسهم في إعادة صياغة العلاقات الأسرية بشكل يعيد توجيه أطراف عملية الاتصال كما وكيفا خارج مؤسسة الأسرة، حيث صار الفرد في الأسرة يجلس في بيته بينما هو في تواصل مع عالم كامل خارج المنزل وعلى مدار الساعة، خاصة من خلال مواقع التفاعل الاجتماعي، هذا أضعف من دور البيت في جمع الأسرة في حلقات تواصلية مشتركة، وحوله إلى مكان يوجد فيه أفراد الأسرة بأجسادهم بينما أفكارهم واهتماماتهم مرتبطة بمكان آخر وأشخاص آخرين تماما!

وبناء على ذلك، أثر استخدام الأبناء للإنترنت على كثافة الاتصال مع الآباء، بل أكثر من ذلك، أثر هذا الاستخدام على نوعية الاتصال مع الآباء الذي بات يتسم بالمحدودية بالمقارنة مع كثافة وحجم الاتصالات التي ينخرط فيها الأبناء عبر شبكة الإنترنت.

كما أسهم الاستغراق في استخدام هذه التقنية بهذا الشكل في إعادة صياغة العلاقات الأسرية خاصة في ضوء تغير المعايير والقواعد الضابطة للسلوك الاجتماعي عند الأبناء، حيث أتاحت هذه التقنية فرص التحادث بين الجنسين دون علم الأسرة، الشيء الذي حقق انفكاكا وصل أحيانا حد الانفلات في ثنائية العلاقة (ذكور، إناث) من الرقابة الأسرية ويسر عملية الاتصال بينهم بشكل يعيد توجيه الاتصال نحو أطراف خارج مؤسسة الأسرة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وجود الإنترنت في البيت حول المنزل في النهاية إلى مكان عمل آخر، فالإنترنت سمحت للشخص أن يتم مهامه العالقة بفعل تعدد قنوات الاتصال والتفاعل فيها، فتزايدت فيها المهمات التي يمكن أداؤها وتنفيذها على الخط!

صار الفرد من خلال الإنترنت يمارس كثيرا من مهام عمله من المنزل، وبات بالتالي على تواصل مستمر مع أطراف خارجية حيث يكون ذلك على حساب تواصله الأسري الداخلي.وتأسيسا على كل ذلك، نستنتج أن استغراق الأبناء في استخدام الإنترنت يؤثر على عملية الاتصال مع الآباء في الأسرة، وذلك من خلال:

- زيادة التحول في أنساق القيم الاجتماعية، والمساهمة في تأكيد قيم الرأسمالية، تلك القيم التي تدعو إلى الفردية والتخصصية، الشيء الذي انعكس على منظومة القيم عند الأبناء، فتراجعت بعض القيم الأساسية التي تحكم العلاقة بين الآباء والأبناء (كالطاعة والحوار).

- زيادة درجة الاغتراب الاجتماعي لدى الأبناء، وانعزالهم عن سياقهم الاجتماعي العام، بانكفائهم على الذات، والتوحد مع حاسوبهم، والتواصل مع الشبكة على مدار الساعة، والابتعاد عن المحيطين وأفراد الأسرة، الأمر الذي يؤدى إلى ضعف الحوارات الشخصية، والتفاعلات الاجتماعية وجها لوجه، وبالتالي فقدان المعنى الاجتماعي للجلسات الاجتماعية داخل الأسرة، ومن ثم فقدان المؤانسة الاجتماعية.

- إعادة توجيه عملية الاتصال الأسري إلى أطراف خارجية، حيث أتاحت الإنترنت، من جهة، إمكانية نقل العمل إلى البيت لمواصلة أو إتمام المهام العالقة! كما أدت إلى إعادة صياغة العلاقات الأسرية، حيث سمحت بانتهاك القواعد التقليدية للسلوك الأسري، وتمثل ذلك في تسهيل المحادثات بين الشباب من الجنسين دون علم الآباء، مما يعزز توجه الأبناء نحو الاتصال بأطراف خارجية مع هذا التغير في القواعد والمعايير الضابطة للسلوك الاجتماعي.وتظهر من هنا انعكاسات استخدامات الإنترنت على عملية الاتصال بين الآباء والأبناء في الأسرة، وإن كان هذا لا يعني إدانة الحاسوب بشكل مطلق، وإنما هي دعوة إلى ترشيد استعماله وعدم المبالغة في استخدامه بشكل يمثل خطرا على أمننا وسلامتنا النفسية والاجتماعية على المدى البعيد.

الفصل السابع

مشكلات التربية وأزمة الانفلات بين الاتصال الوجاهي والرقمي..

مدخل:

الأسرة هي مصنع التربية منذ الأزل، والفرد هو في النهاية تلميذ العملية التربوية.

إلى زمن ليس ببعيد استفردت الأسرة بعملية التربية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تشرب من خلالها الأبناء القيم والثقافة والمعايير واللغة والدين والعادات الاجتماعية المختلفة.

ولعل منظومة الضبط الاجتماعي التي تميز الأسرة العربية، سمحت لها بافتكاك الحصانة النفسية والثقافية والاجتماعية، حيث استطاع الآباء غالبا بسط زمام السلطة وإرساء قواعد الرقابة الأسرية بسبب وقع القهر الاجتماعي الذي هو سمة التنشئة والتربية على المسموح والممنوع في المجتمعات العربية. ولأنه لكل زمن متغيراته وإرهاصاته، فقد أفرز زمن العولمة تغيرات جديدة على جميع مستويات الحياة، قادتها بامتياز ترسانة التكنولوجيات الحديثة التي توظفها العولمة باستمرار لتأكيد وترسيخ أطروحة الإنسان الكوكبي! إنسان عالمي بأبعاد دولية يزعم أنه منفتح على الآخر وذو قيم عالمية موحدة، في حين إنه صورة ضمنية للقيم الغربية طالما يمتلك هو التكنولوجيا في عصر المعرفة، وعلما أن التكنولوجيا هي حمالة للإيديولوجيا ومن ثمة للخصوصية الثقافية والاجتماعية، الشيء الذي أفرز جملة من الانشغالات الفكرية والثقافية، خاصة فيما يتعلق بعلاقاتنا وهويتنا وانتمائنا كمجتمعات لها خصوصياتها وأحكامها الاجتماعية.

المبحث الأول: الأسرة ومعضلة التربية في زمن العولمة!

التربية هي عملية التنشئة الاجتماعية المستمرة، "فالتنشئة الاجتماعية هي عملية تمرير لرسالة تربوية للأفراد محل التشكيل الاجتماعي، هذه الرسالة تتضمن مواضيع مختلفة يراد ترسيخها وتأسيسها في نفوس الأفراد. فعملية التنشئة الاجتماعية تحمل أنماطا سلوكية معينة، كالشجاعة والصبر... وتعمل الأسرة أو أي مؤسسة اجتماعية أخرى على تعليمها للطفل، عن طريق السلوك النموذجي للأبوين. والطفل يقلد هذا السلوك عن طريق الملاحظة أو عن طريق التلقين المستمر أو عن طريق عرض الأحداث".[1]

- معنى الأسرة: الأسرة هي "البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل تكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها. وفي هذه البيئة يتلقى أول إحساس بما يجب وما لا يجب القيام به، والأعمال التي إذا قام بها تلقى الذم والاستهزاء، وبذلك تعده للاشتراك في حياة الجماعة بصفة عامة".[2]

كما تعرف الأسرة بأنها: "مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم والعالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حمى الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه".[3]

---

1 عامر مصباح: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2003، ص46.

2 محمد لبيب النجيجي: الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص82

3 كمال الدسوقي: النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص335.

"إن المدرسة الأولى للعلاقات الإنسانية التي يتعلم فيها الفرد أول دروس الحب أو الكراهية والعدل أو الظلم هي الأسرة. وقد اهتم المربون بدور الأسرة التربوي ونبهوا إليه، حيث أشار المربي الإنجليزي "هربرت سبنسر H.SPENCER " إلى ضرورة التربية الأسرية، إذ يرى أن "الغرض من التربية هو إعداد الفرد للحياة الكاملة في مختلف نواحيها وأن نواحي هذه الحياة هي التالية مرتبة حسب أهميتها: الصحية، المهنية، الأسرية، الوطنية والثقافية".[1]

فالأسرة هي المحيط الاجتماعي الأول الذي يحتضن الطفل ويتعامل معه. فالطفل في بداية حياته يكون مادة خاما قابلة للتشكيل على أي الأشكال، وأي النماذج. ومن ثم، فإن ما تقدمه الأسرة للطفل هو الذي يصنع شخصيته الأولى. وبذلك تكون الأسرة الجماعة الأولية التي تكسب الطفل الخصائص الاجتماعية والنفسية والمعرفية للمجتمع. كما أنها الوسيلة التي يبنى بها الطفل بناء سليما. ففي الأسرة، يتعلم الطفل معاني الكفاح والجد والكد في الحياة. ويتعلم الاستقلال في القرار وحرية التفكير، ويتعلم الخصائص والسمات الشخصية الفاضلة كالشجاعة والصبر والثبات والمعاملة الحسنة للناس ومساعدة الآخرين".[2]

إذن، قد تستعمل كلمة التربية في الأسرة كمرادف لكلمة التنشئة الاجتماعية، حيث يشير "الدكتور عبد المجيد أحمد منصور" إلى أن "الأسرة تمثل إحدى وأهم الوسائط الهامة لإقرار الضبط الاجتماعي إذا ما كان الترابط والتماسك يسود أفرادها".[3]

1عبد القادر تومي: "التربية والمجتمع في زمن العولمة وأسئلة الأولويات، نحو رؤية تحليلية"، في التربية والإبستمولوجيا، مخبر التربية والإبستمولوجيا، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2011، ص11

2عامر مصباح: مرجع سبق ذكره، ص 81.

3 عبد المجيد سيد أحمد منصور: دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1987، ص27-28.

وتأسيسا على هذا، هل يعقل أن تكون قد تحولت التربية إلى أزمة، أو "معضلة" في زمن التكنولوجيا والوسائط الحديثة بعدما كانت تمثل "المتعة" ذاتها عند جمهور المربين بالإجماع؟!

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية القاعدية للمجتمع، التي تقوم على أساس العلاقات الزوجية لتلبية حاجات فطرية والقيام بوظائف شخصية واجتماعية، كما يتجسد فيها كل معاني التفاعل المباشر (وجها لوجه) والتواصل بين أفرادها. فالعلاقات الأسرية تقوم على التبادلات والتأثيرات المتبادلة التي تساعد على التماسك والتعاون، وهذا التبادل في التفاعل يتمثل في الاتصال الديناميكي والمشاركة.

والأسرة هي "البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل تكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها. وفي هذه البيئة يتلقى أول إحساس بما يجب وما لا يجب القيام به، والأعمال التي إذا قام بها تلقى الذم والاستهزاء، وبذلك تعده للاشتراك في حياة الجماعة بصفة عامة[1].

وهنا إشارة إلى وقع وأهمية القهر الاجتماعي الذي يعتبر أداة ضبط فاعلة في حراسة منظومة القيم، هذا في إطار التفاعل الواقعي. وهنا مسألة إزعاج أخرى في مهمة التربية الأسرية، حينما يغيب هذا المفهوم عن الفضاء الافتراضي الذي يحكمه عرف التفاعل الرقمي من دون استشعار لهذا القهر الذي يمثل آلية الضبط الذاتي عند الفرد فيما يخص الالتزام بقواعد المسموح والممنوع.

1 محمد لبيب النجيجي: الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص82.

وبهذا المعنى، هل أصبحت التربية فعلا معضلة اليوم؟!

يؤكد "مارشال ماكلوهان"، صاحب نظرية الحتمية التكنولوجية، ومؤسس مصطلح "القرية الكونية" في كتابه ذائع الصيت "الوسيلة هي الرسالة"، المنشور عام 1967، أن "الوسائل الإلكترونية الحديثة جعلت البشرية في تفاعل دائم (اتصال مستمر) وبذلك لن يعيش "المجتمع البشري" في عزلة بعد الآن"، وبناء على ذلك ولأن "التكنولوجيا تصنع الأيديولوجيا" كما يقول ماكلوهان، فإن مفهوم "المجتمع البشري" بات يثير جدلا في الأوساط "المحلية"، حيث نتساءل: كيف يمكن أن نربي "مواطنين محليين"، وفي نفس الوقت "مواطنين دوليين" في عرف القرية الكونية هذه؟ خاصة أن التربية هي في النهاية "عملية تهذيب أو ترويض لطبيعة الإنسان الحيوانية، وإثارة الطبيعة الاجتماعية الكامنة في الإنسان لتحل محلها، وهي بذلك تكيف الأفراد مع ظروف المجتمع الذي يعيشون فيه، أي مع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها"[1]، فمع أي مجتمع في زمن العولمة والانفتاح نكيف؟!

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية هي "عملية تمرير لرسالة تربوية للأفراد محل التشكيل الاجتماعي، هذه الرسالة تتضمن مواضيع مختلفة يراد ترسيخها وتأسيسها في نفوس الأفراد. فعملية التنشئة الاجتماعية تحمل أنماطا سلوكية معينة، كالشجاعة والصبر... وتعمل الأسرة أو أي مؤسسة اجتماعية أخرى على تعليمها للطفل، عن طريق السلوك النموذجي للأبوين. والطفل يقلد هذا السلوك عن طريق الملاحظة أو عن طريق التلقين المستمر أو عن طريق عرض الأحداث[2]. وهنا أيضا تساؤل آخر يثار حول موضوع "النمذجة"

---

1 فادية عمر الجولاني: علم الاجتماع التربوي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997، ص22

2 عامر مصباح: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2003، ص46.

و"النموذج"، وآليات تفعيله عندما تتفنن تكنولوجيات الاتصال في عرض نماذج أخرى تزاحم بامتياز نماذجنا الأصيلة؟

ولأن التنشئة الاجتماعية هي عملية "غرس المهارات والاتجاهات الضرورية لدى النشء ليلعب الأدوار الاجتماعية المطلوبة منه في جماعة أو مجتمع ما (قيم ومعايير تتفق مع قيم المجتمع)، فالمشكل هو وجود مجتمعين، مجتمع محلي وآخر دولي، قد تتناقض قيم المحلي مع قيم المجتمع الدولي، من منطلق ثنائية الضمير الجمعي والفردي التي تصنع الخصوصيات الثقافية بناء على الاختلاف الموجود في عناصرها من حيث الشكل والمضمون عرفا ودينا وتراثا ولغة، في إطار كلي يأسس لهوية الشعوب!

صحيح أن عملية "التنشئة الاجتماعية" تتكفل بها المؤسسات الاجتماعية جميعها، ولكن تبقى "الأسرة" الخلية الأساسية والأولى في بناء "المجتمع"، حيث يكتسب الفرد أهم الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق التعلم والمحاكاة والتقليد، وهي مصدر الأخلاق والرعاية الأولى لضبط السلوك...

إلا أن "الأسرة" ذاتها ابتداء من وظائفها بدأت شيئا فشيئا تتأثر بإفرازات العولمة وتداعياتها، ليس بناء فقط على خلفية التدويل التي باتت تمسها باعتبارها مصنع التربية، ولكن أيضا بناء على حالة الانفلات التي يمكن أن تعيشها الأسرة كبنية ونظام في لا محدودية الأفق والفضاء! وفي هذا يؤكد باسكال لورو Pascal LOROT أن "العولمة لا تعني حرفيا التدويل أو الكوكبة، فالعولمة تعبر عن حالة التقدم التي يعيشها الكون دون أي حواجز، حيث كل شيء قريب، متاح، في اتصال دائم، إنها حالة العالم الذي نعيش فيه كما تتضح ملامحه منذ عام 1970. العولمة هي امتداد للتدويل الذي لا يمس إلا بعض الدول وبعض الأنشطة"[1].

---

1 Pascal LOROT(sous de la direction): Dictionnaire de la mondialisation, édition Elipses, Paris, 2001, P. 309

وتأسيا على هذا، تكون العولمة الثقافية أشد خطرا ووطأ على الأسرة والتربية بسبب انتشار الفكر الثقافي الغربي، ولعلّ أفضل تلخيص للعولمة من المنظور الثقافي – المعلوماتي – حسب الدكتور نبيل علي" – هو ذلك الذي خرج به " روند لوبرز " (رئيس وزراء هولندا السابق)، حيث أوجز ظاهرة العولمة في صورة مصفوفة رباعية (مصفوفة x22)، ويقصد بها أن ظاهرة العولمة قد أحدثها محركان أوليان، أديا بدورهما إلى متحركين أو ناتجين أو تأثيرين[1]:

المحرك1: الابتكار التكنولوجي في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

المحرك2: سيطرة الليبرالية الجديدة، ويقصد بها انتصار إيديولوجية السوق الحر والنمط الاستهلاكي وإعلام الترفيه والخصخصة.

أما بالنسبة للنتائج، فالنتيجة الأولى تتمثل في تقلص سيادة الدولة وتهميش دورها، ففي ظل العولمة تصبح أمور إدارة الدولة شأنا تتقاسمه الحكومة مع المنظمات الدولية أو المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات متعددة الجنسيات التي تعمل عادة من وراء ستار.

والنتيجة الثانية تتعلق بردود الفعل أو العولمة المضادة من قبل الجماعات أو المؤسسات سواء تحت دوافع عرقية أم دينية أم اقتصادية أم سياسية أم لغوية.

---

1 نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، الكويت، 2001، ص41.

المبحث الثاني: الأسرة، من التلفزيون إلى الإنترنيت... الوجه الآخر للانفلات

لقد أدى التطور السريع لوسائل الإعلام والاتصال إلى تحول المجتمعات المتقدمة إلى مجتمعات المعلومات التي تتميز بعدم القدرة على الاستغناء عن تكنولوجيات الإعلام والاتصال، إنه مجتمع يتصف بأنه "فضاء التدفقات ووقت اللاوقت".[1]

تعرف تكنولوجيات الاتصال على أنها: "مجموعة من الأجهزة الإلكترونية وأجهزة الاتصالات السلكية واللاسلكية والكمبيوتر التي تسمح باكتساب ومعالجة وتخزين ونشر المعلومات الرقمية والنصية واللاسلكية والصوتية".[2]

يمكن حصر هذه التكنولوجيات في: الإذاعة، التلفزيون، الهاتف النقال وأهم واجهة للتكنولوجيات الحديثة هو الإنترنت.

لقد أحدثت التكنولوجيا الحديثة تغيرات جوهرية في وسائل الاتصال، ويكمن التغير الرئيسي في التحول من توزيع الرسائل الجماهيرية إلى الميل إلى تحديد هذه الرسائل لتلائم جماعات نوعية وأكثر تخصصا عن سابقتها، ويصاحب هذا التحول استخدامات متزايدة لوسائل الاتصال الجماهيرية- الفردية في نفس الوقت، كالتلفاز بتقنياته الحديثة، الحاسبات الآلية... حيث يختار الفرد ما يناسبه من معلومات والوقت المناسب لذلك...

1 Manuel CASTELLS, « Les incidences sociales des technologies de l'information et de la communication», in Les sciences sociales dans le monde ،Editions UNESCO/ Editions de la Maison des sciences de l'homme

2 نقلا عن: - يامين بودهان: الآثار النفسية الاتصالية لتعرض الشاب الجزائري لمضامين شبكة الإنترنت، رسالة دكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال، تحت إشراف الأستاذ الدكتور براهيم براهيمي، جامعة الجزائر 3، 2010/2009، ص83.

و"من بين الآراء السائدة في كل المجتمعات، حتى المتقدمة منها، حول تأثير وسائل الإعلام، مثلا "أن الأطفال الذين يشاهدون كثيرا التلفزيون، يتحصلون على نتائج سلبية في المدرسة"[1]

"...إن ظهور الصحافة الكبرى، في بداية القرن 20، لم تمس بعالم الطفولة. وهكذا لم تهدد الصحافة التأثير القوي والحصري الذي كانت تتمتع به الأسرة. ولنفس الأسباب، لم تحرك الإذاعة، منذ ظهورها منذ عام 1920، تخوفات الأولياء ولا تخوفات المختصين في التربية. لكن التلفزيون، على العكس، ظهر كتحدٍّ قوي ضد تأثير هؤلاء جميعا.

وفي هذا الصدد، يمكن الإشارة إلى ما تقدمه مثلا الدراما التركية (حسب قول أحد أرباب الأسرة في الجزائر) حيث يغيب الشاب العامل الكادح، ليظهر البطل إنسانا تلبى له جميع الاحتياجات الأولية والثانوية دون أي مجهول: على المائدة كل أنواع المأكولات، يلبس، يحب، يتكلم بالهاتف... دون أي جهد... وكيف يؤثر هذا على توجهات شبابنا الذي يصل به الحد إلى مطالبة أوليائه بتوفير جميع المتطلبات "

لكن، ما هو تأثير التلفزيون على العلاقة بين الأولياء والأبناء؟: بين التلفزيون في عقد الستينيات أنه ليس فقط وسيلة ترفيه، لكنه يمكن أن يكون أداة تعليمية أو منبرا ثقافيا أو سلاحا إعلاميا، دعائيا سياسيا فتاكا، وإلى جانب ذلك كان له سلبيات عديدة على الترابط الأسري والمستوى الثقافي والمعرفي، بعد أن سرق وبدد الوقت الذي كانت الأسر تقضيه في لقاء بعضها البعض، والوقت الذي كان يمضيه الأفراد في القراءة والمعرفة، والتلاميذ في المذاكرة والتحصيل العلمي، وأصبح هو الجهاز الذي تعتمد الأمهات على

1 RIEFFEL: Sociologie des médias, Ellipses Edition Marketing, Paris, 20

سحره في تسلية الأطفال وإلهائهم حتى كاد يحتل مكانة المربيات المنزليات في بعض الدول".[1]

وفي الحقيقة، لا تسمح الملاحظات الإمبريقية بالإجابة المطلقة عن السؤال السابق، لكنها تشير إلى أن مشاهدة التلفزيون تتم عادة في الأسرة، مع أفراد الأسرة، (رغم أن مشاهدة التلفزيون ممارسة فردية أو اجتماعية)، في حين يفضل الأفراد الذين يعيشون وحدهم الذهاب إلى السينما أو قراءة الصحف. لكن هذه الملاحظة لا تسمح بأي استنتاج حول تأثير التلفزيون على انسجام الجماعة المتمثلة في الأولياء والأبناء (حسب فرنسيس بال Francis BALLE).

كشف تحقيق ألماني لعام 1954 أن ثلثي عينة واسعة التمثيل للمجتمع تقضي معظم الوقت في المنزل بعدما دخله التلفزيون"،[2]

في هذا السياق، توصل عالم الاجتماع "بيلسون W.A.Belson" في كتابه "تأثير التلفزيون impact of television" Londres, 1968" إلى نفس النتائج السابقة، حيث لاحظ أن " ظهور المستقبِل recepteur في البيوت الإنجليزية رفع من نسبة الوقت الذي يمضيه الأفراد في المنزل مساء. في حين أشار Belson إلى أنه يستثنى من هذه القاعدة أفراد الأسرة الكبيرة، خاصة المراهقين منهم الذين يرون في التلفزيون أداة رقابة في يد الأولياء".

تظهر بعض التحقيقات التي أجريت في فرنسا، أن فئة الشباب هي الفئة الأقل اهتماما بالتلفزيون من فئة الكهول.

---

1 فؤاد أحمد الساري: وسائل الإعلام، النشأة والتطور، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011، ص335.

2 Francis BALLE: Médias et sociétés, 12ème édition, Montchrestien, Paris, 2006, P. 539.

وفي نفس الاتجاه، كشفت "إيليونور ماكوبي Eleonore Macoby"، عام 1954 أن "الأطفال الذين تربطهم علاقات صعبة مع أوليائهم يشاهدون التلفزيون أكثر بكثير من غيرهم بحثا عن نماذج يقتدون بها"[1]

وهنا يمكن استنتاج أن ما يسمى بـ"عنف الشاشة"، في الحقيقة، ليس ظاهرة مستقلة بذاتها: فليس بإمكاننا عزلها عن نفسية الفرد ولا عن المحيط الذي يتم فيه التأثير، خاصة المحيط الاجتماعي: فالتلفزيون عادة يشغل المكان الشاغر الذي تخلت عنه مؤسسات التنشئة الاجتماعية، خاصة الأسرة منها.

ولا يزايد أحد في أن هذه الوسائط أسهمت بشكل أو بآخر في لم شمل كثير من الناس الذين تباعدوا في الزمان والمكان، حيث اختزنت المسافات وقربتهم للتواصل صوتا وصورة بواسطة هذه الوسائل التي تحمل كثيرا من الخصائص والامتيازات التي تسهل وتخدم عملية الاتصال بين البشر باعتبارها تسمح باكتساب ومعالجة وتخزين ونشر المعلومات الرقمية والنصية واللاسلكية والصوتية.

من بين الآراء السائدة في كل المجتمعات، حتى المتقدمة منها، حول تأثير التكنولوجيات الحديثة، "بروز وسائط جديدية "تقلل" من فرص التفاعل الأسري، وتؤثر في رسم جغرافية عملية التربية برمتها بسبب التعلق الكبير للأبناء بها وبمضامينها المختلفة.

1 IBID, P. 640

المبحث الثالث: جدلية العزلة والارتباط بين التواصل الرقمي والتواصل الوجاهي...

تعرف شبكة المعلومات الدولية (الإنترنيت) على أنها مجموعة من شبكات الحواسب المترابطة معا (عن طريق الكوابل أو خطوط نقل البيانات السريعة أو الأقمار الصناعية)، حيث تشترك هذه الحواسب في نفس المصادر المادية والمعلومات[1].

يتضاعف عدد المتصلين بشبكة الإنترنت بشكل سريع، حيث يفوق منحنى تطور الإنترنت منحنى تطور كل من لإذاعة والتلفزيون. والوقت الذي يقضيه الأفراد في الإنترنت أكبر بكثير من الوقت المـمضي أمام شاشة التلفزيون[2]. لهذا أحدث دخول الإنترنت إلى البيوت جدلا بين علماء الاجتماع بين مؤيد ورافض، نظرا لتأثيرها على أفراد الأسرة والأطفال وكذا على النمط الاتصالي للأسرة.

لقد أفرز استخدام الإنترنت شكلا جديدا جذابا ومغريا للتواصل الإنساني لم نشهد له مثيلا قبلا، وهو الاتصال الإلكتروني أو الرقمي حيث تكون الأجهزة الصماء وكبسات الزر هي بطلة مشهد التفاعل اليومي! ويعرف الاتصال الرقمي بأنه " العملية الاجتماعية التي يتم فيها الاتصال من بعد، بين أطراف يتبادلون الأدوار في بث الرسائل الاتصالية المتنوعة واستقبالها، من خلال النظم الرقمية ووسائلها، لتحقيق أهداف معينة. ويقوم التعريف على المحددات التالية:

1 زياد القاضي وآخرون: مقدمة إلى الإنترنت، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص17.

2 Anne-Laure Beranger, dans le Journal du Net du 30/03/2005.

-إذا كان الاتصال الإنساني في أشكاله التقليدية يوصف بأنه عملية تقوم على أساس الحركة والتدفق والاستمرار وتطور علاقاتها وعلاقات عناصرها ببعضها البعض، وتأثيرات السياق والبيئة الاتصالية التي تتم فيه العملية، فإن الاتصال الرقمي يزيد على ذلك بأن العلاقات ليست بين عناصر العملية فقط ولكنها بين عناصر النظم الرقمية التي تعمل على استمرار الاتصال وتطوره...[1] .

ضمنيا، يجب الاعتراف بأن الإنترنت سمح بنقلة نوعية في حقوق المعرفة، حيث سمح هذا الفضاء بالقضاء على "الآبرتايد الاجتماعي" الذي همش الفقراء لوقت طويل، في حين أصبح لديهم اليوم نفس الحظ من المعلومة، تماما مثل الأغنياء، بمجرد نفس كبسة الزر التي يتقاسمها الجميع.

وبناء عليه، يمكن القول إن تكنولوجيات المعلومات أسهمت في صناعة ونشر الوعي الشامل ودعم التواصل وتقوية الاستقلالية للحصول على المعلومات والمهارات الاجتماعية المناسبة، غير أنها من ناحية أخرى، " يمكن أن تشكل أيضا نهاية لمرحلة احترام السلطة الأسرية والمجتمعية. كما يمكن أن تسهم الإنترنت في زيادة العزلة والتعلم السلبي[2]".

وعلى الرغم من ظهور مفهوم العزلة Isolation لوصف تعرض الأفراد للشبكة العالمية للمعلومات – الإنترنيت- (حيث أكد القرار الصادر عن المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين لعام 1995 على أهمية المشكلات التي تواجه المجتمع من جراء استخدام التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، التي تتعلق بعزلة الأفراد...)، فإن البعد الاجتماعي

1 محمد سيد محمد: وسائل الإعلام من المنادي إلى الإنترنت، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009، ص23.

2 ماجد بوشلبي، يوسف عبيدات: ثقافة الإنترنت وأثرها على الشباب، وقائع ندوة علمية، ط1، مكتب الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص246.

في عملية الاتصال مع شبكة المعلومات بجانب الاتصال الثنائي والجمعي يظهر واضحا في التأكيد على الأدوار الاجتماعية التي يمكن أن يقوم بها الاتصال عبر الشبكات[1]...

فيما يخص الوقع الاجتماعي، ذكرت دراسة أمريكية حديثة أن ممارسة الأطفال لألعاب الفيديو التي تعتمد على العنف يمكن أن تزيد من الأفكار والسلوكيات العدوانية عندهم.

ويقول الدكتور ممتاز عبد الوهاب: "إن الجلوس كثيرا أمام الكومبيوتر يجعل كثيرا من الأبناء يهملون دراستهم ويمضون أوقات المراجعة في الكومبيوتر بدلا من الكتاب المدرسي، وسهرهم أمامه يجعلهم قليلي التركيز في الفصل في اليوم الموالي، والجلوس وحيدا طويلا أمام الكومبيوتر، يعود الطفل على الانطواء والبعد عن الآخرين"، وبذلك، فإن دخول الكومبيوتر إلى البيوت، خلق نوعا من عدم التواصل ونقصا في الاتصال الشخصي بين
أفرادها.

لقد أضحت "انطوائية الكمبيوتر" اليوم من أشد الظواهر تأثيرا على الأفراد إلى حد وصل فيه المجتمع إلى حالة من الإدمان الجماعي للأفراد للإنترنت والهاتف النقال معا بسبب تمتع هذا الأخير بخصائص التواصل الإلكتروني التي أدخلت إليه، امتدت آثارها إلى الأسرة حيث أضعفت علاقاتها وقضت على كثير من مناسبات التفاعل والتواصل الاجتماعي التي طالما تميزت بالحميمية والدفء العائلي والارتباط العاطفي الذي انفردت به الأسرة إلى وقت طويل!

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن جدلية العزلة والارتباط التي لا تزال حاضرة في كل القراءات التي تقود النقاش فيما يخص الوقع الاجتماعي لهذه

---

1 محمد سيد محمد: مرجع سبق ذكر، ص23.

التكنولوجيات، مازالت تؤكد التغير الواضح في سلوكاتنا الاتصالية بشكل أسهم بطريقة أو بـأخرى في إعـادة التوجيـه إلى تغليـب الاتصـال الرقمـي كـما ونوعـا في علاقاتنـا الاجتماعية، الذي يكون على حساب الاتصال الشخصي الوجاهي.. وسمح هـذا التوجـه بعملية اختزال لكثير من مواقف ومناسـبات التواصـل والتفاعـل الاجتماعـي إلى رمـوز ورسائل نصية تلخص القصص والعواطف والآمال والواقـع بعيـدا عـن فكـرة المواجهـة التي يقتضيها التفاعل الشـخصي، مـع كثـير مـن الكـتمان والسريـة والخصوصـية التـي يوفرها العالم الافتراضي بامتياز حينما يسمح بإخفاء الهويات والأسماء وكسر التابوهات والتعبير بأريحية عن المسـموح والممنـوع دون التفكـير في عواقـب القهـر الاجتماعـي، وبتفلت كبير من زمام الضـبط الاجتماعـي والرقابـة الأسريـة والمجتمعيـة المعروفـة في مجتمعاتنا المحافظة، مما ضاعف الإقبال على استخدامها حد الإدمان.

المبحث الرابع: الدور المنتظر من الأسرة في زمن العولمة:

في ضوء المعطيات الجديدة التي فرضتها العولمة، وفي سياق المشروع الكـوني الـذي تجتهد وتبرع في رسم ملامحـه عـبر كامـل المعمـورة، وبنـاء عـلى إشـكالية تـأخر واقـع المجتمعات العربية ووعي الأفراد بتأخره، يجب الاعتراف بأننا أمام أزمة اجتماعية غاية في الخطـورة تـزداد الفجـوات فيهـا اتسـاعا يومـا بعـد يـوم بفعـل تكنولوجيـا الإعـلام والاتصال السريعة التي أصبحت تستعمل مختلف وسائل الجذب والإثـارة في عروضـها المتنوعة للسلع العالمية، وعليه، فإنه لابد من موقـف واضـح وعاقـل للمجتمـع ينضـج بمختلف الجهود التي تنظمها كل أنظمة الدولة عـلى رأسـها الأسرة التـي هـي مطالبـة بصناعة موقف اجتماعي ثقافي مدروس وواع، ينتج عـن وعـي الأهـل بضرورة تحصـين الفكر والعقل والوجدان العربي من هذا الإرهاب الفكري الثقافي العالمي، وعليه ينبغي عـلى الأسرة تبنـي أسـلوب "حصـانة" جديـد يسـاعد الأبنـاء عـلى التكيـف مـع التغـير

الاجتماعي بشكل يصون مقومات الشخصية العربية، حيث ينضج هذا الأسلوب أيضا بمختلف مظاهر الرقابة والضبط الاجتماعي الأسري الذي لابد أن يتبناه الأهل في إطار مواجهة ظاهرة الاختراق الثقافي وانعكاساتها على سلوكات الأفراد، مع العلم أن " الضبط الاجتماعي عبارة عن قوة يستخدمها المجتمع والطرق والمعايير التي يقرها ويفرضها على أفراده في سلوكهم بمختلف أشكاله من أجل ضمان سلامة البنيان الاجتماعي، والمحافظة على أوضاعه ونظمه وصيانته من الانحراف وجعلهم يتمسكون بالقيم والأنظمة التعليمية المرغوب فيها والمقبولة لاستمرار نظام المجتمع."[1]

وتنبع ضرورة الضبط الاجتماعي من طبيعة النسق الاجتماعي، إذ لكل مجتمع قواعده القيمية وموروثاته الثقافية التي لابد من المحافظة وضبط الرقابة عليها من أجل الحفاظ على معالم النص الاجتماعي الثقافي، وذلك بالحرص والتشديد على هذه القواعد من خلال تنشئة الأطفال على تقبل ما يفرضه عليهم التنظيم الاجتماعي بشكل يتخذ من المرونة في التنشئة الاجتماعية أسلوبا وسطا ينتهجه الأهل في إطار محاولة تحقيق التوازن بين المنظومة العقدية

ومتطلبات الواقع الجديد. ففي ظل هذه المتغيرات الجديدة التي يشهدها العالم اليوم، تزداد الحاجة إلى الضبط الأسري بمقدار الاختراق الثقافي والاجتماعي الذي تفرضه العولمة. وتأسيسا على ذلك، فإنه لابد من الاتجاه والتفكير في صيانة الجماعة من بعض السلوكات البشرية التي أصبحت تهددها، وذلك من خلال اتخاذ موضوع "التربية" كأداة التأثير الفعالة، ونحن نتحدث هنا عن التربية الأسرية بغض النظر عن التربية النظامية المدرسية، ذلك أن الأسرة هي أول وأكبر المؤسسات التنشئية، وذلك من خلال توجيه

1 إبراهيم ناصر: علم الاجتماع التربوي، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الرائد العلمية، عمان، ص157وص159.

الأفراد إلى النموذج أو السلوك التربوي الذي تريـده الجماعـة خاصـة في ظـل الفـوارق الموجودة بين التربية التقليدية والحديثة، فيكون ذلك من خلال إعادة تكييـف سـلوك الأفراد ومـواقفهم بشـكل يسـاير الأطـر الثقافيـة والضـوابط الاجتماعيـة التـي تقبلهـا الجماعة. ذلك أن عملية التغير الاجتماعي تتطلب مرحلة جديدة من التكيف لابـد أن يبدأ الأهل أولا داخل الأسرة في انتهاجها وذلك من أجل تجـاوز فجـوة الواقـع المتـأخر على نحو ما تلحظه من تغيرات في كل نواحي الحياة بعد كل ثـورة تتجـاوز المـاضي، في اتجاه المحافظة على وظيفة الضبط الاجتماعي التي تتمثل في تحديد السـلوك المقبـول في المجتمع حيث يستمد قوته من الأعراف والتقاليد في تنظـيم العلاقـات بـين الأفـراد، وليس هناك غير الأسرة من تنشئ وتعلم الأفراد وتبني المبادئ الخلقية باعتبارها تمثـل التراث التـاريخي، وتعكـس الواقـع الاجتماعـي، ولـذلك فإنهـا مازالـت رغـم كـل شيء تحتفظ بصدارتها في التأثير، ففي البيت يتعلم الطفـل مبـادئ القوميـة والوطنيـة مـن خلال الاستماع إلى أحاديث الأهل في أمور الحياة والأمة والتـاريخ والأمثـال والأسـاطير، مما يشكل الحصانة لـديهم بشـكل ينمـو شـيئا فشـيئا ليصـبح يمثـل الإطـار المرجعـي لسلوكهم، ويكون ذلك بمثابـة صـمام الأمـان الـذي يحـول دون الانسـلاخ عـن الهويـة الثقافية الوطنية. ومن هنا يظهر دور الأسرة في ضرورة الضـبط الاجتماعـي مـن خـلال التأكيد على القيم والمعايير الأخلاقية التي لا يجوز تجاوزها. وعليه، تعتبر الأسرة أساس قوة التحصين وحصن المواجهة المنيع، ولذلك فعلى الأنظمة العربية أن توليهـا الرعايـة الكافية والدعم المادي والمعنوي حتى تحقق الـدور المنشـود، ولابـد أيضـا مـن تضـافر جهود المؤسسات الأخرى في اتجاه تصور وبناء نموذج أصيل في ظل التغير الاجتماعي.

الخاتمة:

بناء على المتغيرات الجديدة التي تفرضها ظاهرة "العولمة"، وفي ضوء المتطلبات الجديدة أيضا التي تفرضها حقيقة تأخر الواقع الذي نعيش فيه وبضرورة مواكبة التطور، لابد من إيجاد مخرج ثقافي اجتماعي للأزمات التي يعيشها المجتمع وتتقاذفه في غياب مرجعية فلسفية علمية يتبناها. ولنتفق على أنه قد آن الأوان لأن نستثمر أكثر في مؤسسة الأسرة لأنها الأمل الأكبر الذي نعول عليه كونها البيئة الأولى للتنشئة الاجتماعية، وكونها أيضا المصداق الداخلي الوحيد الذي ينتزع شرعيته من قوة وخصوصية العلاقات الاجتماعية التي تجمع الأفراد في الأسرة. ولذلك، فإن لها قوة تأثير تضاهي المؤسسات الأخرى مهما تنوعت إغراءاتها. هذا، ويذكر أنه من الأهداف غير المعلنة التي تسعى تكنولوجيات الاتصال الحديثة، على رأسها "الإنترنت" إلى تحقيقها، هو محاولة صناعة ثقافة عالمية يراد لها في ظاهرها أن تكون موحدة تكرس لأطروحة الإنسان الكوكبي العالمي، وإن كانت في الحقيقة لا تقدم في مضمونها إلا القيم الغربية كقيم رائدة!

كما يتضح جليا في زمن العولمة توجه بارز نحو تفعيل الاتصال الرقمي بالنظر إلى هيمنة الرقمنة على كل المجالات العملية والاجتماعية والاقتصادية بشكل قد يجعل الفرد الذي لا يمتثل لأحكامها يعيش على الهامش طول الخط!

وتأسيسا على هذا التغير في نمط واتجاه القيم من جهة، والتغير على مستوى نمط الاتصال الأجدى الذي تحدثه هذه التقنيات، تكون الأسرة في زمن العولمة أشد المؤسسات التي تدفع تكلفة ذلك التغيير الذي ينعكس على كل العمليات الاجتماعية فيها، بما في ذلك عملية الاتصال الاجتماعي بين الآباء والأبناء داخلها.

الفهرس